



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية: الآداب واللغات

صورة المرأة في الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص أدب شعبي

إشراف الدكتور:

بشير مناعي

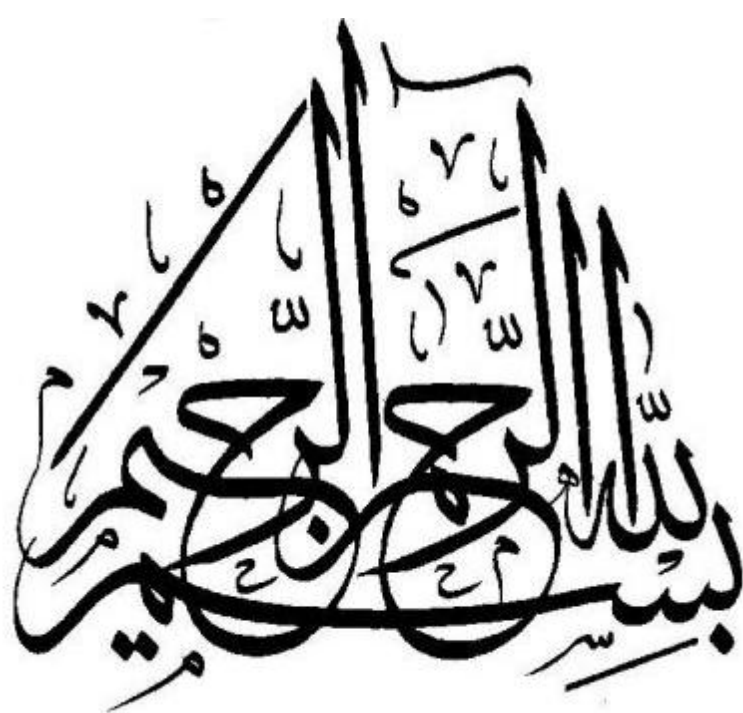
إعداد الطالبة:

سليمة طويل

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. العيد حنكة	استاذ محاضر - ب -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيساً
د. البشير مناعي	استاذ محاضر - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفاً ومقرراً
أ. عبد الكريم شبرو	استاذ مساعد - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1435 - 1436هـ / 2014 - 2015م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ربي اشرح لي صدري (24) ويسر لي أمري (25)
واحلل عقدة من لساني (26) يفقهوا قولي (27)

صدق الله العظيم

سورة طه: 24، 25، 26، 27

شكر وامتنان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وكان له فضل المشاركة - بعد عون الله وتوفيقه - في إخراج هذا العمل على صورته الحالية، ذلك أني أرى شكري لهم ديناً عليّ واجب قضائه.

"لم يشكر الله من لم يشكر الناس" كما جاء في الأثر، ومن هؤلاء الفضلاء:

مشرفي الدكتور بشير مناعي أشكره لتفضله بالموافقة على انجاز هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود، بعد ما كان مجرد فكرة فجزاه الله عني الخير الوفير، وبارك الله في دينه وعلمه وصحته، وجعله الله نبراس علم تستضيء به الأجيال.

أشكر الدكتور أحمد زغب لمساعدته لي فجزاه الله عني الخير والعافية.
الأستاذ الفاضل حمزة حمادة أشكره جزيل الشكر على إرشاداته وتزويدي بالمعلومات إلى جانب الدعم المعنوي والتشجيع.

إلى صديقتي الغالية حنان مسعودي من جامعة محمد خيضر بسكرة التي
ساعدتني في بحثي فجزاها الله كل الخير وأناط طريقها بالنور والخير
والبركات.

إلى كل زميلاتي في قسم الأدب الشعبي بجامعة حمه لخضر بالوادي.
الرواة الفضلاء اللواتي فتحن لي قلوبهم حفاوة وترحيبا وأمدوني بما جادت
به الذاكرة الشعبية من كنوز كادت أن تندثر برحيل جيلهم لولا لطف الله
وهمة الباحثين.

وأخيرا لا أملك إلا الدعاء وحسن التقدير لكل من مدّ لي يد العون
وساعدوني في إنجاز هذا البحث.

فجزائهم الله عني جميع الخير وزاد في ميزان حسناتهم.

مقدمة

غني عن البيان أن الأدب الشعبي يعتبر لبنة أساسية لأدب أي مجموعة أو أمة من الأمم، وهو في الوقت نفسه الدعامه الصادقة التي تنم عن أصالة الشعوب في أي زمان وفي أي مكان، ولا نريد بعيدا عن المقصود حينما نقول أن المثل الشعبي من بين الأشكال التعبيرية الشعبية التي تؤكد تلك الأصالة باعتباره جزءا مهما في النثر الشعبي يعبر به الشعب عن خلجاته النفسية واهتماماته الروحية ومدركاته الحسية بأساليب مختلفة؛ إذ يصطبغ بالطابع الأدبي الشعبي الغني بالتعابير المنمة عن مغزى معين، وقد شغلت المرأة حيزا معتبرا من الأمثال الشعبية السوفية ويفسر ذلك بأهمية الدور التي تقوم به داخل النسيج الاجتماعي باعتبارها أمًا وزوجة وبتنًا وأختًا فهي الركن الركين في الأسرة إذ لا وجود للأسرة دونها وهي سند لزوجها في معركة الحياة وهي قائمة على شؤون بيتها، وفي مقدمة تلك الشؤون تربية الأولاد؛ فقال أحد المصلحين يكفي المرأة فخرا أنها تشكل نصف المجتمع والنصف الآخر يتربى في أحضانها، كما أنها تعد وسيلة التقارب والتواصل بين مختلف أفراد وبيئات المجتمع عن طريق المصاهرة والنسب على حد القول الشعبي المعروف << المراقبة البعائد >>.

وإذا تأملنا الأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة نجد أنها تعكس صورة المجتمع الذي تنتسب إليه هذه الأمثال بحكم التداول إبداعا وتلقيا وتوارثا، وهي صورة ترسم ملامحها وتؤطرها منظومة القيم الدينية والأخلاقية الاجتماعية التي تواضع عليها أفراد المجتمع باعتبارها مرجعية مشتركة؛ بين أن تلك القيم المشكلة لهذه المرجعية المشتركة تستمد شرعيتها وقوتها وسلطانها من مصادر مختلفة لعل أبرزها تعاليم الدين الإسلامي من ناحية والأعراف والتقاليد الموروثة من ناحية ثانية، ومن المحتمل أن تكون هذه الأعراف والتقاليد كثيرا ما تتعارض مع تعاليم الإسلام، وهو ما يفسر تواجد أمثال تنطوي تحت أسس الدين وتنسجم مع المبادئ الإسلامية وتعاليمه، وتوجد أمثال أخرى تبتعد قليلا أو كثيرا عن تلك المبادئ والتعاليم بحكم ارتباطها بالأوضاع السائدة المنبثقة عن منظومة الأعراف والتقاليد الموروثة عن عصور الضعف والانحطاط.

بناء على ما تقدم يمكنني الحديث عن أهمية الموضوع الذي اخترته لبحثي الذي يحمل عنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية السوفية" فأهميته تتمثل في جانبين جانب خاص وجانب عام، الجانب العام يتعلق بقلة الدراسات الأدبية في الأدب الشعبي بشكل عام والجانب الخاص مرده إلى الجنس الأدبي الشعبي المختار صورة المرأة في الأمثال الشعبية السوفية، فهو جدير بالدراسة باعتباره بنية نصية تعكس صورة الحياة ومظاهر البيئة الطبيعية والتاريخية والاجتماعية والثقافية بالمنطقة.

والدوافع والأسباب التي أدت بي إلى اختيار هذا البحث منها أسباب ذاتية ومنها موضوعية.

الموضوعية: أن المثل يعبر عن سلوكيات معينة وكل ما يمت بصلة للتصور الثقافي العام للمجتمع كان داعيا لاهتمامي به ومحاولة دراسته واستنباط صورة المرأة منه.

محاولة شرح أكبر عدد من الأمثال الشعبية السوفية الخاصة بالمرأة بشرح مفرداتها ومعانيها، وإبراز دور وأهمية المرأة البالغ في المجتمع عامة وفي المجتمع السوفي خاصة، وتناول قضية المرأة لأنها قضية حساسة نظرا للدور المهم والخطير الذي تؤديه المرأة في المجتمع.

أما الأسباب الذاتية فأهمها ميلي الكبير إلى مجال الأدب عامة والأدب الشعبي خاصة مع ملاحظة النقص الكبير للدراسات في هذا المجال، وإعجابي الشديد بموضوع الأمثال الشعبية وتألق المرأة فيها وما تحمله من دلالات وخصائص مميزة بالمجتمع السوفي. وكوني أنتمي لهذه المنطقة لذلك قررت أن أخدمها ثقافيا ولو بشكل بسيط، واحتكاكي بأشخاص يحفظون بعض أشكال الأدب الشعبي خاصة القصص والأمثال الشعبية.

هذه هي مجمل الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع كمحور بحث كما أن دراستي تهدف إلى المساهمة بدراسة أدبية واجتماعية عن الأمثال الشعبية التي تعد مرآة عاكسة للواقع وأوضاع المجتمع الذي أنتجها وصنّفها، كذلك محاولة كشف حقيقة الأمثال من خلال توضيح الأبعاد والدلالات التي تحملها وصولا إلى فهم المجتمع، من خلال رصد أنماط السلوك الإنساني وتقييمه، والوقوف على الحياة

الاجتماعية للمجتمع السوفي من خلال دراسة المواضيع التي تناولتها الأمثال الشعبية وصورة المرأة فيها، وكذا خدمة الثقافة الشعبية الجزائرية عموما ومنطقة وادي سوف.

وقد لاحظت قلة وندرة الدراسات السابقة التي تخص صورة المرأة في الأمثال الشعبية وحتى الدراسات التي عالجت هذا الموضوع تميزت في عمومها ببعدها عن الغوص في عمق التحليل لصورة المرأة، وأهم الدراسات التي أعانني في بحثي عن المثل الشعبي وصورة المرأة فيها فقط مثل: جلاوجي عز الدين وفي الأمثال الشعبية الجزائرية، ورايح العوي المثل واللغز العاميان، عبد الحميد بن هدوقة أمثال جزائرية، ومرتاض عبد المالك في الأمثال الشعبية الجزائرية، فهذه الدراسات رغم تناولها للمثل بصورة عامة إلا أنها أنارت لي الطريق في الوقوف عند أهم المحطات التي رسمتها لبحثي والمتعلق بالمرأة وصورتها في المثل الشعبي المحلي، أما المدونة التي اعتمدتها في البحث هي: محمد الصالح بن علي الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. والإشكالية التي أردت الوقوف عندها هي: ما الأمثال الشعبية؟ وما هي وظائفها وخصائصها ومميزاتها، ومتى نشأت هذه الأمثال؟ وما هي الصورة التي عكسها المجتمع السوفي للمرأة؟

وللإجابة على تلك الإشكالات اتبعت الخطة التالية: فصل تمهيدي درست فيه تعريف المنطقة بجوانبها الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، في الجانب الجغرافي تطرقت فيه إلى الحدود الجغرافية ومظاهر السطح والخصائص المناخية والغطاء النباتي، والجانب الاقتصادي تناولت فيه الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات، أما الجانب الاجتماعي درست فيه تركيبة السكان والمستوى المعيشي واللباس في مجتمع السوفي والسكن والأدب الشعبي عندهم، والعادات والتقاليد والجانب الثقافي والديني.

أما الفصل الأول خصصت فيه التعريف بالمثل أي تعريف لغوي واصطلاحي ونشأته وخصائصه ومميزاته ووظائفه وهدفه وتناولنا قيمة المرأة في الإسلام.

أما الفصل الثاني تناولت فيه الصورة الحسية لصورة المرأة في الأمثال، ودرست من ناحية البيت والأسرة واللباس التقليدي للمرأة والزينة والحلي.

والفصل الثالث تناولت فيه الصورة المعنوية للمرأة في الأمثال الشعبية السوفية تطرقت إلى مكانة المرأة في المجتمع السوفي بصفة عامة وقسمت الأمثال إلى أصناف، أم بنت وعروس وكنة (زوجة الابن) وسلفة (زوجة أخ الزوج) وضرة (زوجة الأب) وامرأة مطلقة وعجوز.

وختمت بحثي بخاتمة مثلت خلاصة لأهم النتائج المتوصل إليها.

وبناء على ذلك قد اقتضت طبيعة الموضوع الذي يدرس صورة المرأة في الأمثال الشعبية وطبيعة فصوله ونوعية الإشكاليات التي أثارها البحث أن أستعين بأكثر من منهج، فاعتمدت المنهج التاريخي لما تتميز به المنطقة من عادات وتقاليد من خلال موروثها الثقافي، ونشأة الأمثال ووظائفها وخصائصها ومميزاتها، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي الذي أردت من خلاله محاولة شرح الأمثال السوفية ودور المرأة فيها وتحديد دلالاتها وأبعادها فبعدما قمت بتجميع الأمثال درستها وشرحتها ثم قمت بتصنيفها إلى أصناف متعددة حسب دلالتها، وهي مواضيع تخص المرأة ومتعلقة أساسا بالحياة الاجتماعية.

وقد واجهتني بدوري بعض الصعوبات في عملي منها: قلة الدراسات في مجال الأدب الشعبي، في دراستي للثقافة الشفوية المروية تضارب معاني بعضها ببعض وهناك من وبخني على مثل هذه الدراسات وأنا لا ألومهم لأنني أدرك غياب الوعي عندهم بضرورة حفظ التراث ولأنهم أول مرة يواجهون مثل هذه الدراسات أي من حيث دراسة التراث الشعبي الذي لا يتصورونه محل دراسة داخل الجامعة، أو من حيث تناول طالبة هذا النوع من الدراسة، وتشابه الأمثال ومعانيها أدى إلى صعوبة تصنيف الأمثال الشعبية إلى أصناف.

وفي الختام لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم من الشكر أجزله إلى كل من أعانني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وأخص بالذكر الدكتور بشير مناعي وإلى رئيس المشروع الدكتور أحمد زغب وإلى كل زملائي وزميلاتي وكل من ساهم في إخراج هذا العمل المتواضع في حلتته الأنيقة.

الفصل التمهيدي: تعريف عام لمنطقة وادي سوف

المبحث الأول: أصل التسمية

المبحث الثاني: الجانب الجغرافي

المطلب الأول: الحدود الجغرافية

المطلب الثاني: مظاهر السطح

المطلب الثالث: الخصائص المناخية

المطلب الرابع: الغطاء النباتي

المبحث الثالث: الجانب الاقتصادي

المطلب الأول: الزراعة

المطلب الثاني: الصناعة

المطلب الثالث: التجارة وطرق المواصلات

المبحث الرابع: الجانب الاجتماعي

المطلب الأول: تركيبة السكان

المطلب الثاني: المستوى المعيشي

المطلب الثالث: اللباس في مجتمع وادي سوف

المطلب الرابع: المسكن في وادي سوف

المطلب الخامس: الأدب الشعبي في وادي سوف

المطلب السادس: العادات والتقاليد

المبحث الخامس: الجانب الثقافي والديني

المبحث الأول: أصل التسمية

وادي سوف اسم مركب من كلمتين << وادي >> و << سوف >> فوادي سوف لا تمثل فقط منطقة طبيعية وجغرافية بالإمكان تحديد ملامحها بل هي منطقة بشرية¹ تمتد في رمال العرق الشرقي الكبير <> ولقد أجمعت مختلف المؤلفات على أن سوف عبارة عن واد سطحي له عدة روافد وفروع على مسافة 60 كلم شمال شرقي الوادي وسمي هذا القسم وادي النازية، ووادي وعندما يصل إلى منطقة الشط الشرقي يتفرع إلى ثلاث فروع يتجه أحدها شرقا نحو الطريفراوي² و <> ينعطف آخر نحو الجنوب الشرقي ويدعى واد وراغ حيث تغور مياهه بسبب كثرة الرمل ويتجه فرع ثالث نحو الجهة الجنوبية الغربية ويدعى واد زيتن<>³.

تعني كلمة الوادي نسبة إلى <> وادي الجردانية الذي كان يجري قبل عدة قرون في هذه المنطقة ثم نضب ماؤه وجف<>⁴.

تذكر بعض الأساطير القديمة أن منطقة وادي سوف كان يجري بها نهر غزير، ويقطع هذا النهر منطقة وادي سوف من الشمال إلى الجنوب، ويسمى هذا النهر بـ " وادي ازوف " ويعني خربير المياه ثم تغير هذا الاسم بعد دخول الإسلام إلى المنطقة وأصبح وادي سوف، وتسمى بهذا الاسم " وادي " لأنه محل جريان لواد الجبل الذي تجري روافده بالقرب من سيدي عون⁵ والبهيمة (حساني عبد الكريم حاليا)⁶ وينتهي بالوادي، وهناك من يذكر بأن معنى الوادي يعني " وادي الماء " الذي كان

¹C. L. B. atiallon le soufe Etude geographie humaine institut de recherche sahariennes, université d'alger, 1953. P 7.

² قرية تبعد عن مدينة الوادي بـ 9 كلم.

³ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. تعليق، الجيلاني العوامر. ط2، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1977م. ص 48، 49.

⁴ نفسه. ص 41.

⁵ تبعد عن عاصمة الولاية بـ 20 كلم.

⁶ تبعد عن عاصمة الولاية بـ 10 كلم.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

يجري قديما في شمال شرق سوف ويسمى منبعه "وادي الجبل" الواقع في نواحي بودخان، عقلة الطرودي والميتة، وله عدة روافد وفروع منها: النازية والجردانية¹.

ولقد قدمت طرود العربية² إلى منطقة سوف في حدود عام 690هـ / 1292م أطلقوا على المنطقة اسم "الوادي" كما يذكر العوامر أن العامة يرجعون تسمية الوادي بأن أهلها لا يهدؤون ولا يسكنون بل يتحركون دائما إما بالسفر أو الظعن (الرحيل) فشبهوهم بجريان الماء في محله المسمى وادي³.

وأطلقت تسمية الوادي بعد ذلك على عاصمة الإقليم والمركز الإداري في سوف، وهي مدينة الوادي، كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن أشجار النخيل بالمنطقة قد تصل مباشرة بالماء الموجود في الطبقة الدثرورية وتشير الحالة الجديدة التي تعيش فيها الأشجار إلى وجود نهر جوفي متحرك لأن المياه الراكدة تقتل الأشجار التي تعيش عليها.

ولما نضب الماء نهائيا من فوق الأرض صارت الرمال تغطي العرق السوفي مشكلة وادي من الرمال، فأصبح ينطبق على مصطلح "وادي سوف" إذن وادي الرمال⁴، وأول من أطلق تسمية " وادي سوف" بهذا الجمع هو الرحالة الأغواطي أثناء رحلته إلى وادي سوف التي تحدث عنها سعد الله في كتابه أبحاث وآراء⁵.

¹ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ صحراء سوف. ص 48 . ص 49.

² قبيلة طرود، هي قبيلة عربية قدمت إلى وادي سوف عام 690هـ / 1292م، سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل يدعى طراد من قوم مسروق بن عندالة، ينظر إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ سوف. المصدر السابق. ص 269، 270.

³ المصدر نفسه. ص 90.

⁴ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م)، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف د، عمر بن خروف. 2001 ص 08.

⁵ أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ط 2، بيروت دار الغرب الإسلامي . 1990، ج 2 . 260.

معنى كلمة سوف:

لقد ظهرت عدة دلالات وتفسيرات لكلمة سوف ومنها ما ذكره العوامر >> أن أرض سوف كانت في القديم تسمى الظاهرة، وسميت بذلك لأنها أول قطعة من أرض ظهرت بعد أرض نفطة حيث أنحصر عنها ماء الطوفان، كما يذكر أنها سميت بذلك لأنها كانت محل لأهل الصوفية لأن كل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة في أرض سوف وكان أهلها يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم<>¹.

لأن المنطقة كانت تشتهر بصناعة الصوف وتستعمله لأغراض شتى منها نسيج الألبسة المختلفة وصناعة الأفرشة والأغطية لهذا أطلق اسم الشهرة على المنطقة وهو الصوف أو "سوف"².

وقيل كان بها رجل عليم أي صاحب حكمة يسمى ذا السوف فسميت هذه الأرض به، والسوف في اللغة معناها العلم والحكمة، وجاء في كتاب تغرية بني هلال: >> قيل أن أهل سوف حين دخلت العرب إفريقية دخولها..... وسوف التي ذكرها هي المكان المعروف بسوف البصرة بقرب مدينة حلب الشام فلعلهم إلى هذه الأرض فسميت بهم<>³.

وذكر ابن خلدون أن قبيلة مسوفة (Masoufa) التارقية البربرية قد مرت بهذه الأرض، فلعلها سكنت بها مدة من الزمن، فسميت باسمها⁴، لهذا انتسبوا أهل سوف إلى قبيلة زناتة البربرية الذين استعربوا استعرابا تاما⁵ وهذا ما جعل منهم من يقول أن كلمة سوف مشتقة من الاسم

¹ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 38.

² إبراهيم، مياشي، من تاريخ سوف مدينة ألف قبة وقبة. مجلة الثقافية، الجزائر. ع 113. 1996، ص 191.

³ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 39.

⁴ عبد الرحمان، ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (دط) دار البيان (دت). ص 198.

⁵ توفيق، مدني، كتاب الجزائر. (دط)، المطبعة العربية، 1350هـ. ص 244.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

الأمازيغي "سوف" أو "أسوف" وبالقبائلية العصرية "أسيف" وتعني الأرض المنخفضة، أو ضفاف النهر (مثل وادي النيل) فأدغمت كلمة الوادي مع سوف وأصبحت وادي سوف¹.

ويقال أنه في القديم كان يجري بها وادي من الماء يدعى "وادي زوف" "Oue Zouf" أي النهر الوافر الماء وكان يجري بالمنطقة² ومع مرور الزمن جف ماء ذلك الوادي وبقي مكانه متداول في ألسنة المنطقة، ونتيجة لاضمحلال الغابات والأشجار بالجهة زحفت إليها الرمال ومازالت تتزايد وتتراكم حتى اتخذت شكل الكثبان التي يطلق عليها سكان المنطقة بالسيوف³ وهكذا أصبح يطلق عليها وادي سوف.

كما أطلقت تسمية سوف بسبب تكاثف الرمال في المنطقة وبالأخص كثرت السافي⁴ برأس الوادي وقد قال الشاعر القديم مالك بن الربيع المزني في مراثية لنفسه:

وقوما على البئر السمينية أسمعا
بها الغرو البيض الحسان الروانيا
كأنما خلقتماني بقفرة
تهيل على الريحي فيها السوافيا⁵

وذكرت كلمة (Souf) في طبقات مشايخ الدرجيني الإباضي (670هـ)⁶ وبهذا ظهور كلمة سوف سوف في حدود القرن الثالث الميلادي أي حوالي سنة 1271 ميلادي⁷.

¹ إبراهيم، مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة. ص 191.

² موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900 - 1939م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والآثار إشراف د، أحمد صاري. 2006 / 2005، ص 16.

³ السيوف، جمع سيف يطلق على الكثيب من الرمال الممتدة وأعلاه حاد يسمى بذلك تشبيها بسيف السلاح القاطع.

⁴ السافي، هو الرمل الرطب الناعم الذي يظهر على حافة النهر أو الوادي.

⁵ أحمد بن الطاهر، منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف. (دط) دار الهدى للطباعة والنشر، 2000. ص 23.

⁶ أبو العباس أحمد، الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق، إبراهيم الطلاي. قسنطينة، دار البعث 1974. ج1. ص 152.

⁷ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية. ص 16.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وللإشارة أنه يوجد بلدة في الأردن يطلق عليها "سوف" وهي تقع شمال غرب مدينة جرش، وشمال مدينة عمان، ويوجد فيها وادي يسمى "وادي سوف" بدأ من غرب البلدة ويمر بها باتجاه عام شرقي غربي، وقد أُلّف فيها الكتاب بهاء الدين الطوقان كتابا بعنوان تاريخ سوف الاجتماعي¹.

كما أن سوف تعني في لغة زناتة البربرية "النهر" وعندما نقارن هذه الكلمة البربرية القديمة (Isouf) و (Asouf) والتي تعني في البربرية الحديثة "أسيف" نجد أنها توافق معنى "الواد" أو بمعنى أشمل "النهر" وتلتقي أيضا مع اللهجة التارقية (Le Souf Mellon) وتعني النهر الأبيض².

المبحث الثاني: الجانب الجغرافي

المطلب الأول: الحدود الجغرافية

يقع إقليم وادي سوف جنوب شرق الجزائر، وهو جزء من العرق الشرقي الكبير يحده من الشرق نفطة³ ونفزاوة، وهي حدود تونسية، ثم بئر الرومان وغدامس⁴، ومن الجنوب واحات غدامس على الحدود الليبية، ومن الغرب وادي ريغ (تقرت وتماسين) وورقلة⁵، ومن الشمال بلاد الزاب (بسكرة)، ليمتد إلى جبال الأوراس والنمامشة وإلى منطقة نقرين⁶.

أما موقعه الفلكي فهو يقع بين خطي طول 6° و 8° شرقا، وبين دائرتي عرض 32° و 34° في حين يبلغ الامتداد من سطيل في الشمال إلى غدامس جنوبا حوالي 620 كلم، وتبلغ مساحة

¹ إبراهيم محمد، الزقراطي. سوف. المجلة الثقافية. عمان الأردن. الجامعة الأردنية، ع58. 2002/2003. ص 173، 176.

² Andre Voisin, Le Souf Mangraphi d'une regoin saharienne, PARIS, 1985(Manuserit) . p 03.

³ نفطة: تبعد عن الوادي بـ 116 كلم.

⁴ غدامس: تبعد عن الوادي بـ 550 كلم.

⁵ ورقلة: تبعد عن الوادي بـ 255 كلم.

⁶ موسى، بن موسى. الحركة الإصلاحية. ص 16.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وادي سوف 82800 كلم²، والإقليم محاط طبيعياً بشطوط عديدة وهي شط مروان، شط ملغيغ، وشط الغرسة من الشمال وشط الجريد من الجهة الشرقية وشط وادي ريغ بالغرب¹.

المطلب الثاني: مظاهر السطح

إقليم وادي سوف تسوده مظاهر العرق حيث نجده في غالبه ينتمي إلى العرق الشرقي الكبير إذ تغطي الرمال معظم أراضيه (ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية) وهي رمال ناعمة تشبه الدقيق ذات ألوان صفراء وبيضاء²، تتحكم الرياح في حركتها مما نتج عن ذلك شكلين من الرمال وهي:

- الكثبان الرملية: وتتواجد بصورة كبيرة في سوف، وتختلف من حيث ارتفاعها حيث يصل أحدها إلى 200م وهي تدعى بالغرود.

- المنخفضات والأودية: وتعد سوف أخفض نقطة في العرق الشرقي الكبير وتوجد المنخفضات والأودية بين الكثبان الرملية³.

وتتواجد في المنطقة الشمالية بسوف الحمادات الرملية، وهي طبقات حجرية متنوعة تحت الرمال، ويختلف سمك الرمال المتراكمة فوقها من جهة إلى أخرى، ومن تلك الطبقات "الترشة" عبارة عن حجارة صغيرة تستغل لصناعة الجبس، وتوجد بمنطقة البهيمه⁴ و سيدي عون⁵ و "اللوس" التي في في شكل حجارة متشابكة ذات رؤوس وهي صلبة تستغل في البناء وتوجد بغمرة والمقرن⁶ وشرق الزقم⁷، والصلحة أو "السميدة" فتوجد في غمرة والديلة والمقرن وتستعمل للبناء⁸.

¹ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق. ص 07.

² إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ سوف. مصدر سابق. ص 41.

³ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية. ص 20.

⁴ البهيمه، تبعد عن الوادي ب 10 كلم بالشمال الشرقي.

⁵ سيدي عون، تبعد عن الوادي ب 20 كلم بالشمال الشرقي.

⁶ المقرن، تبعد عن الوادي ب 25 كلم بالشمال الشرقي.

⁷ الزقم، تبعد عن الوادي ب 13 كلم بالشمال الشرقي.

⁸ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف، مرجع سابق. ص 12.

المطلب الثالث: الخصائص المناخية

يسود منطقة سوف الإقليم الصحراوي الشديد الحرارة صيفا وشديد البرودة شتاءً بسبب جفافه ويغلب عليه الحر في معظم شهور السنة¹، وقد تصل الحرارة إلى ما فوق 50° في النهار وتنخفض إلى ما يقرب من درجة 0° ليلاً².

أما الرياح فهي تهب بصفة دائمة وفي معظم شهور السنة بنسب متفاوتة، ومنها الشهيلي أو (القبلي) وهو شديد الحرارة ويهب جنوباً ويدوم من يوم إلى أسبوع ويهب خمسة عشر يوماً في السنة، وأكثره ما يكون في النهار فتزيده أشعة الشمس حدة.

أما البحري أو (الشرقي) فيهب على الإقليم آتياً من خليج قابس ويكون هبوبه غالباً في المساء بهواء رطب منعش ويستمر إلى الليل إذ يساعد على النوم فيمكن السكان من الراحة استعداد لمشاق اليوم الموالي، إضافة إلى أنواع أخرى من الرياح منها الظهراني والغربي وهذه الرياح الكثيرة الأثرية غالباً فتزعج السكان إذا تحولت إلى زوابع قوية³.

أما الأمطار في أرض سوف فهي نادرة ولا تنزل إلا في الخريف أو أوائل الربيع في بعض جهاتها⁴.

المطلب الرابع: الغطاء النباتي

يتميز الغطاء النباتي في وادي سوف بالفقر بسبب الجفاف وكثرة الرمال ومع ذلك توجد نباتات طبيعية متنوعة ذات جذور طويلة تنمو في الأودية وأطراف من الكثبان⁵ فيعتمد عليها البدو

¹ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 13.

² إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مرجع سابق. ص 52.

³ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 13.

⁴ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ سوف. ص 51.

⁵ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 13.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

الرحل لرعي حيواناتهم، وأهمها في "وادي سوف" الحلفاء، البثنة، العضيدة، الحارة، اللفة الشيخ إضافة إلى أشجار من حطب كالأزل، العلندي، الرتم، العرعار والطرفاء¹.

المبحث الثالث: الجانب الاقتصادي

كثيرا ما تفرض الحياة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع على أفراد ممارسة نشاط اقتصادي معين لتحسين ظروف المعيشة وتحقيق الاكتفاء الذاتي والأمر نفسه نجده في منطقة سوف فنظرا للظروف المناخية والطبيعية والواقع المعيشي الجد بسيط جعلت أفراد المجتمع السوفي تنوع نشاطاته الاقتصادية مابين الرعي والزراعة والصناعة الحرفية والتجارة².

المطلب الأول: الزراعة

أ- الرعي:

الرعي وظيفة متوارثة تعود عليها غالبية المجتمع الجزائري، وكان الفرد السوفي ميالا إلى الرعي لما تجلبه هذه المهنة من فوائد جمة، ولقد كان المجتمع السوفي غير مستقر في موطنه نتيجة لممارسته هذه المهنة وهذا ما دلت عليه الإحصائيات التي أجريت سنة 1931م حيث وجد من خلالها أن نصف السكان مستقر والآخر رحل³.

وكانت الحيوانات ترعى في مساحات واسعة، ولا تربى في إسطبلات محددة المجال وكان أهالي القبائل يضعون على أفخاذها بعض التوشيم تمييزا لهم عن بقية الحيوانات، إضافة إلى الإبل فقد استعمل الفرد السوفي نوعا آخر من الحيوانات في مهنة الرعي وهو الغنم، الماعز⁴.

¹ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. 52، 54.

² موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف، مرجع سابق. ص 46.

³ المرجع نفسه. ص 47.

⁴ المرجع نفسه. ص 47.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وتتميز منطقة وادي سوف أن رعيها كان تقليدي يعتمد على وسائل بسيطة وتقليدية نتيجة طغيان الطابع البدوي¹.

ب- الزراعة:

لقد استطاع الفرد السوفي رغم قساوة الطبيعة أن يمارس الفلاحة والزراعة بالمشابرة والعمل الدؤوب، وكان يلزم عليه في بداية أمره حفر الآبار وغرس النخيل²، ولم يكن هذا العمل بالشيء الهين في منطقة سوف وإنما كان يتطلب منه الجهد العميق من خلال رفع الرمال على ظهور الحيوانات وعلى ظهور الإنسان أيضا، وهذا العمل الذي يسميه البعض (بالأشغال الشاقة) كان ضرورة بالنسبة للفرد السوفي حتى يبعد الرمال على البئر المحفور والنخيل المزروع³.

كما كان حفر الآبار لاستعمالها للسقي يتم بطرق تقليدية كاستعمال الفأس، وكانت كل هذه الجهود التي يعملها الفلاح، وكانت كل هذه الجهود التي يعملها الفلاح السوفي من أجل الحصول على منتج التمور الذي يلعب دورا هاما في اقتصاد المنطقة من حيث الاكتفاء الذاتي والتصدير إلى الخارج⁴.

ويتمثل المحصول الثاني في التبغ الذي يمثل المرتبة الثانية بعد التمور في أرض سوف، وأول منطقة بدأت في زراعة التبغ هي قمار وذلك في نهاية القرن 18م وقد جلبوا بذور التبغ من نواحي باجة التونسية، ليتعد حدود سوف منذ 1885م وينتج مرتين في السنة حتى كانت قمار لزمن طويل مهد زراعته والمنتج الوحيد له. وقدر إنتاجه بالوادي 150 ألف كيلو غرام وذلك سنة 1910م، بينما بلغ في سنة 1939م إلى 1333 قنطار⁵.

¹ موسى بن موسى، المرجع السابق، ص 47.

² الطاهر، منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف. ص 51.

³ أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. دار الغرب الإسلامي، 1990م، ج3، ص 102.

⁴ الطاهر، منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف. مرجع سابق. ص 51.

⁵ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. مرجع سابق. ص 47.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

كما كانت سوف تنتج محاصيل زراعية أخرى كالخضر والفواكه والكاكاو وغيرها من المزروعات¹، ولكنها بكميات قليلة لا تزيد عن حاجة السكان المحليين وكانت تزرع في مكان قرب النخيل يدعى الحرث²، تخصص له مساحات تتراوح ما بين 50 إلى 80م² ويسيج بزرب سياج من الجريد، وكان على الفلاح السوفي أن يوفر الوسائل الضرورية لتسهيل الزراعة والتي تتمثل في البئر والخطارة³ والماجن⁴، السواقي⁵ والميزاب⁶، أما القمح والشعير فإن المنطقة عجزت عن زراعته حيث كانت تستورده من مناطق أخرى⁷.

المطلب الثاني: الصناعة

كان اقتصاد المنطقة يعتمد على بعض الصناعات التقليدية التي تساهم في التنمية وعلى رأسها صناعة الصوف، كنسيج الزرابي والأغطية والملابس الصوفية مثل الجبة والبرنوس⁸، كما تصنع الحياك والحوالي والقنادير والبخانيق وكلها تصنع من الصوف إضافة إلى الوبر والحرير⁹.

¹ الطاهر، منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف. مرجع سابق. ص 52.

² علي، بوصبيع العايش، النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل واد سوف. مدونة الندوة الفكرية الثامنة الأمين العمودي. الوادي. دار الثقافة.

³ الخطارة، هي آلة ثلاثية الأطراف تقام حول البئر وتتكون من ركيزتين من جذع النخلة ولها عمود متحرك ممدود بين الركيزتين تربط في مؤخرته حجرة ثقيلة تساعد على رفع الطرف الثاني يعلق به في الظل المصنوع من سعف النخيل يدعى " العمورة " ويشيد بحبل متوسط الطول مصنوع من ليف النخل. السيدة عائشة مسعودي، 83 سنة، حي 5 جويلية الرقيبة الوادي، لقاء يوم 18 / 04 / 2015، على الساعة 00،9 صباحا.

⁴ الماجن، حوض من الجبس يكون ملاصقا للبئر وبه فتحات تتصل بالسواقي. نفس السيدة، نفس اللقاء.

⁵ السواقي، وهي مجاري مائية تتصل بالماجن والميزاب وتعد من الجبس فتكون فوق الرمال طبقة جبسية رقيقة تمنع تسرب الماء وتحافظ عليه وتساعد على الوصول لسقي النباتات. نفس السيدة، نفس اللقاء.

⁶ الميزاب، هو حوض من الرمل تكون جوانبه مرتفعة بعض السنتيمترات، وبداخله تزرع مختلف أنواع الخضر ويكون غالبا مستطيل الشكل ويتصل بالسواقي عن طريق فتحه. نفس السيدة، نفس اللقاء.

⁷ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. مرجع سابق. ص 49.

⁸ الطاهر، منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف. مرجع سابق. ص 52.

⁹ إبراهيم، العوامر، الصبروف في تاريخ الصحراء وسوف. مصدر سابق. ص 86.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

كما توجد صناعة الأحذية التقليدية التي تطلق عليها في المنطقة اسم العفان¹، وتوجد كذلك كذلك الزرابي وصناعة السعف حيث يقوم بعض أهل سوف بصناعة بعض السلاسل والأواني المنزلية مثل الأطباق،² وأغطيتها والمظلات والقفاف والزناييل وغيرها من سعف النخيل³.

المطلب الثالث: التجارة وطرق المواصلات

I) الفرع الأول: التجارة

تنقسم التجارة في المجتمع السوفي إلى نوعين التجارة المحلية والتجارة الخارجية

التجارة المحلية:

لقد أثبتت التقارير الفرنسية أن الحركة التجارية في منطقة سوف نشيطة ودائمة وذلك من خلال سوق المواشي الذي يعقد طوال أيام الأسبوع وكان يقصده التجار من مختلف الواحات والبلدان³.

وكان سوق الوادي مقسماً إلى عدة أسواق حسب المنتوجات المحلية، فكان سوق خاص بالتمور، سوق خاص ببيع الحطب، إضافة إلى سوق اللحم وسوق الغنم الذي ظلت تسميته إلى حد الآن⁴، بينما كانت التمور هي الأكثر زواجا في سوق الوادي المركزي وتختلف أسعاره حسب الظروف الطبيعية⁵.

ونجد اللحوم المتنوعة من لحم الغنم والماعز والإبل، كما يبيع الصوف المستخلص من الخرفان التي تربى في المنطقة، والدهان "السمن" فهو كثير الإستهلاك حيث ينتج محليا من خلال ثروة

¹ العفان، حذاء يصنع من وبر الجمل وشعر الماعز يلبسه الناس لقطع مسافات كبيرة فوق الرمال. السيدة عائشة مسعودي، اللقاء السابق.

² الطاهر، منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف. ص 52.

³ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. مرجع سابق. ص 50.

⁴ إسماعيل، ميساوي وأسماء، ميساوي وآخرون، مفكرة نهاية القرن العشرين (د ط) الوادي. المطبعة العصرية. 1990م/ 2000. ص 250.

⁵ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف، مرجع سابق. ص 79.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

الحيوانات الممتثلة في الماشية، أما الحياك "الحوالي" فتباع في سوق كوينين غير انه أخذ في التراجع نتيجة تفضيل الأهالي الألبسة الأخرى بالإضافة إلى المنافسة في بيعه في كل من تونس وفرنسا¹.

ولقد كانت من بين السلع المعروضة للبيع في سوق الوادي الجلة (فضلات الإبل) التي يلتقطها البدو بالقرب من الآبار أو من طرق القوافل فتباع في أكياس تدعى الغرارة، ويقدر سعرها ما بين 3 إلى 4 فرنكات. كما يباع الحطب على شكل حمول. وتباع صغار النخيل وتسمى في المنطقة الحشان وكان يجلب من وادي ريغ وورقلة ومن الجريد التونسي².

وإلى هذا كله تباع الحيوانات بمختلف أنواعها، أما الخضار والفواكه فهي محلية ذات استهلاك يومي، وبكميات قليلة لا تزيد على الاكتفاء الذاتي³.

التجارة الخارجية:

تتمثل التجارة الخارجية في سوف بعمليات المقايضة التي يقوم بها التاجر السوفي وذلك من خلال استبداله الحبوب بتمر الغرس أو منسوجات أخرى كالزراي التي كانت تشتهر بها المنطقة وكانوا زبائنهم السياح وضباط الشؤون الأهلية ويعتبر القمح والشعير العنصرين الأساسيين من مشتريات السوق لأنه من الأغذية الأساسية بالمنطقة. وكذلك احتياجها إلى الزيت وخاصة النوع المفضل "زيت الزيتون" والسكر الذي يباع بالقوالب⁴.

طرق المواصلات:

إن وسائل الاتصال كانت عبارة عن وسائل بسيطة إلا انه بعد العشرينات أدخلت وسائل حديثة كالسيارات والشاحنات، أما قبل ذلك فقد كانت الوسيلة المستعملة هي الإبل والسير بها يتم

¹ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. ص 50.

² المرجع نفسه. ص 51.

³ المرجع نفسه. ص 52.

⁴ أبو القاسم، سعد الله، أفكار جامحة، (د ط) الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1988. ص 172.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وفق قوافل تجمع ثلاث جمال أو تزيد، ونظرا للموقع الحدودي التي تحتله سوف جعلها تتميز بتعدد طرق المواصلات التي تربط بينها وبين الجريد التونسي وغدامس الليبية والحقار بل أبعد من ذلك إلى بلاد السودان.

وتتمثل الطرق في وادي سوف على نوعين:

- طرق تكون فيها وادي سوف منطقة عبور للقوافل الآتية من الشمال أو الشرق، أو الجنوب.
 - طرق تكون وادي سوف من خلالها منطقة القوافل إلى تلك الجهات.¹
- كانت الرمال تزيد الأمر سوء إذ تسد الطرق في وجه المسافرين، وقد جيء بسكة حديدية ولكنه لم تنجح فألغى لصعوبة الاحتفاظ بالرمال الغازية، وأمام صعوبة السفر وتعرضهم للمخاطر إلا أن الفرد السوفي ظل يسعى في كسب رزقه وتحمل المشاق.²

المبحث الرابع: الجانب الاجتماعي

تميزت طبيعة وادي سوف بالبداوة وذلك لكون النشاطات المهنية المعتادة التي امتنها أغلب سكان المنطقة كانت متمثلة في الرعي، رغم قسوة الطبيعة التي تفرض على الراعي الترحال من مكان إلى آخر بحثا عن الكأ وعن منبع المياه، نازحين عن الأماكن التي أصابها الجفاف، ومن خلال هذا اضطر بعض السكان إلى الاستقرار بالمدن والقرى وكذلك الواحات وخاصة بعد اكتشاف المياه الجوفية ونجاح بعض المنتجات والمحاصيل الزراعية.³

يتميز مجتمع وادي سوف من الأواصر التي تربط بين فئات المجتمع السوفي، فقوامها الأول العائلة، ثم القبيلة وبعدها العرش، ويربط بينها الود ويطغى عليها الانسجام لوجود " العرف " المسموع لدى غالبية السكان، لكن هذا لا يبرر انعدام السلوكيات السلبية لدى عامة المجتمع مما تؤثر في ترابطه

¹ أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج3. ص 108.

² المرجع نفسه. ص 108.

³ عمار، عوادي، الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف 1918-1957م. ص 36.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

من حين إلى آخر، مما يساعد في انتشار روح الفرقة والشقاق، والسبب يكمن حصره في العصبية القبلية تؤجج نارها بعض السلوكيات من العادات والتقاليد البالية والخرافية التي يجبرها بسطاء الفكر أو المشعوذين والسحرة وأصحاب التعصب القبلي.

المطلب الأول: تركيبة السكان

إن أغلبية السكان في وادي سوف ينتسبون إلى العنصر العربي مع تواجد العناصر الأمازيغية وهذا نتيجة الهجرات العربية من قبائل هلال وسليم التي أصبحت تشكل العنصر المهيمن بالإقليم وأصبح غالبية المجتمع ينتمون إلى عرشين كبيرين هما: عرش طرود الذي ينتمي إلى طرود بن فهم بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان، وصلوا إلى سوف في القرن الرابع عشر الميلادي. عرش عدوان الذين ينتمون إلى عدوان بن عمر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان¹، ويتفرع عن هذين العرشين مجموعة من القبائل منها:

الأعشاش: وتضم (أولاد أحمد، وأولاد جامع، الفرجان والربيع)².

المصابعة: وتضم (العزازلة، الشبابة، والقرافين والشعانة الذين قدموا إلى سوف في حدود عام 1886م)³.

__ أولاد سعود: وهم سكان تاغزوت وسموا بهذا الاسم نسبة إلى شيخ يدعى سعود⁴.

وكانت بعض العائلات تتباهى بانتسابها إلى الأشراف بسلالة النبي صلى الله عليه وسلم وهي عائلات ترتبط بالتصوف، كما تلعب أدوار هامة في توجيه السكان وكسب ودهم، أما التركيبة

¹ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. مصدر سابق. ص 270.

² علي، غنابرية، مجتمع وادي سوف. مرجع سابق. ص 106.

³ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. مرجع سابق. ص 55.

⁴ محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 114.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

الاجتماعية للبدو تقوم على القبيلة التي ينتمي إليها البدو مهما كان تواجدهم وتمثل الأسرة قاعدتها الأساسية¹.

المطلب الثاني: المستوى المعيشي

إن الثروة الحقيقية للمجتمع السوفي هي غناه بالتمور وخاصة الغرس الذي يعتبر الغذاء الرئيسي للسكان². ونظرا لما يتميز به نخيل سوف التي تتصل جذورها مباشرة بالماء. فليكن خزن التمور لعدة سنوات دون أن يتغير وهذا ما جعله يسلم من المجاعات³. التي مست مناطق أخرى بسبب الحروب والقحط، فقد وقعت مجاعة في أواخر عام 1285هـ / 1869م حيث قلت الحبوب واللحوم وتضرر أصحاب المواشي والمزارع، لكن أهل سوف لم يقع لهم الضرر وذلك راجع لاعتمادهم على التمور مما جعل وفود النمامشة تقبل عليهم فبسطوا إليهم أيدي العطاء والإعانة فكان بعضهم يخرج أحمال التمر يفرقها عليهم⁴.

ورغم ذلك تعرضت وادي سوف إلى آفات طبيعية تؤثر على منتوج التمور مثل مجيء الغلة شيص⁵، والسبب في ذلك فساد الذكار⁶.

كما وصلت آثار المجاعة الكبرى عام 1867م بالشمال إلى وادي سوف وقلت المؤونة من القمح والشعير وأطلق السكان على ذلك السنة بعام الشر⁷.

¹ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. ص 56.

² علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 115.

³ علي، بوصبيح، النخيل ثقافي واقتصادي في حياة أهل واد سوف. ص 28.

⁴ إبراهيم، العوامر، الصبروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 251.

⁵ الشيص، هو التمر الذي يفسد ولا ينمو جيدا وإنما يكون رديئا.

⁶ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. مرجع سابق. ص 116.

⁷ المرجع نفسه. ص 117.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وبالنسبة للغذاء في وادي سوف كان يختلف حسب طبيعة المجتمع بين البدو والرحل، فكان البدو يعتمدون على تمر الغرس وحليب النوق في فصل الصيف،¹ كما يتناولون المرفوسة وهي وجبة من القمح والشعير والتمر مخلوط بالدهان (السمن) أو الحليب،² وكانوا يصطادون الأرانب والغزلان والطيور وسمك الرمال " شرثمان (السنقور)" فيأكلون لحومها، أما لحم القطيع فإنهم لا يأكلونه إلا إذا وقع حادث للحيوان أو عندما يطرق الضيوف بهم،³ وغذاء السكان في الوسط الحضري كان يعتمد على ثلاثة وجبات أساسية، في الصباح يتناولون التمر وحده ويعتبرون كل من يحصل عليه في بداية يومه من المخطوظين⁴. أما في منتصف النهار فالأساس هو التمر أو البسر وقت الخريف، ويضاف معه الحليب إن وجد وسمح بذلك الموسم ويصحب وجبة خفيفة مثل:

- الرضخة أو الدوبارة: وهي ماء الفول أو الحمص الذي يخلط مع الفلفل والرمال أو الخل والطماطم.
- الدشيشة: وهي قمح أو شعير يطحن حتى تكون الحبة على ستة أو سبعة أجزاء ويطبخونها بالأبازيل - التوابل - وتكون جاري أو مائعة.
- المطبقة (المطاييق): المحجوبة أو المحاجب وهي الرخساس الذي في أطباقه الفلفل، والبطل والطماطم والشحم.⁵

المطلب الثالث: اللباس في مجتمع وادي سوف

كان اللباس يتمثل في جلود الضأن بالنسبة للرجال وجلود الماعز بالنسبة للنساء بعد دبغها، وحينما تعلموا حرفة الغزل والنسيج أصبح الرجل يلبس لحفة أو قندورة صوف، أما المرأة فتلبس حوليا

¹ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 77.

² علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 118.

³ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 118.

⁴ المرجع نفسه. ص 118.

⁵ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 78.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

أو بخنوق مصبوغ بالحمرة أو السفرة أو السواد. وهو الغالب عندما استوردوا الكتان المالطي من القطر التونسي أصبح الرجل يلبس ثوبا يسمى السورية.¹

ويقال له أيضا البلوزة أو الرداء، أما المرأة فتلبس منه ثوبا يسمى الملحفة أو الملاياة،² والرجال يلبسون في فصل الشتاء القشايية ويغطون الرأس بالشاش (العمامة) لحمايتهم من أشعة الشمس المحرقة وكل هذه الألبسة يغلب عليها اللون الأبيض لأنه يمتص أشعة الشمس بل يعكسها كما يتمنطقون "بالحزمة" المصنوعة من وبر الماعز الأسود والصوف الأبيض وبها صور مختلفة الأشكال³ أما البرانيس جمع (برنوس) فكما يقول القدماء لم تظهر في سوف إلا مؤخرا⁴.

أما أحذيتهم فهي (العفان) المصنوع من الشعر الماعز وهو يقاوم كل شيء ما عدى الرطوبة وهو خفيف ودافئ ويمكن السير به بسهولة وراحة في الرمال، ويستعمل خاصة في الشتاء.⁵ وكل هذه هذه الثياب كانت تغسل قبل وجود الصابون بالجبس أو الطين أو الرماد الأسود أو تغسل بالماء وحده.⁶

المطلب الرابع: المسكن في وادي سوف

المجتمع السوفي كغيره من المجتمعات البشرية التي تركز إلى مساكنها حتى يستطيع الفرد أخذ قسط من الراحة، لكن المسكن يختلف باختلاف الظروف والأوضاع التي يعيشها في حل وترحال هذا وفقا لحياة البداوة أو الريف أو الأوساط المدنية، وهي في أغلب الأحيان تكون مؤقتة مما جعلها

¹ السورية، هي القميص وهو اللباس الداخلي في الغالب.

² إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 80.

³ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 119.

⁴ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 80.

⁵ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 119.

⁶ إبراهيم، العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 80.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

بسيطة في شكلها ومتواضعة في بنائها ورغم بساطتها ولكنها ساهمت في تطوير العمران الحضاري باستمرار وتواصل¹.

فبالنسبة للبدو خلال القرن التاسع عشر كانوا يسكنون في بيت خفيف المحمل أثناء تنقلهم يدعى "الخيمة" أو بيت الشعر، وبسبب حرارتها في فصل الصيف أو ضيقها يشيدون بالقرب منها كوخا يأوون إليه عند اشتداد الحرارة، كما يستقبلون فيه الضيوف وينجز من الأغصان الكبيرة لشجر العلندة والأزال والطرفاء والرتم، وكان للخيمة أشكال مختلفة وحجمها في المتوسط من 7 إلى 3 م وهي مصنوعة من وبر الجمال المختلط بشعر الماعز على شكل أشرطة متوازية². وكل قبيلة تتميز عن غيرها وضع أشكال وألوان على الخيام³.

كما كان البدو يأوون إلى المساكن الريفية التي تبنى داخل البساتين (الغيطان) وهي عبارة عن زرائب أو بيوت من جريد النخيل ثم صارت بعد ذلك من الجبس وصاروا يسكنون فيها البدو أثناء تنقلاتهم الموسمية التي تبدأ من شهر جوان إلى شهر جويلية⁴.

أما التجمعات السكانية (الحوش) فإن القرى والمدن في منطقة سوف تمثل تجمعات تكون بها مساكن ذات أبواب صغيرة تبنى أسقفها بالجبس وأجزاء من أغصان النخيل، وتقام هذه المساكن حول المسجد، وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع البلدة " النزلة" مع إقامة بئر في وسط الرحبة⁵.

ورغم تطور العمران ولكنه لم يمنع من وجود الزرائب التي يسكنها الفقراء أو من كان في الغيطان فيبقى زمن ثم يرحل، وكان يسكنها أهل البادية الذين لا يغتبطون في المداشر⁶.

¹ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. ص 60.

² علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. ص 120.

³ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. ص 60.

⁴ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف. مرجع سابق. ص 121.

⁵ موسى، بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف. ص 60.

⁶ إبراهيم، العوامر، الصبروف في تاريخ الصحراء وسوف. ص 84.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وقد وصف رحالة فرنسي هذه المساكن "الحوش" التي شيدت في منطقة سوف وهو الدكتور (Escard) عام 1885م ".... من حيث المساكن التي شيدت بمواد خام تنتهي بكثير من القباب الصغيرة، وشيدت بحجارة صغيرة ومن بين القباب وضعت أخشاب النخيل التي ربطت بينها، وهذا الشكل من البناء إلا في سوف وتعطيه نمط ومظهر خاص بمدنه وأريافه، وأكثر هذه المساكن الطابق الأرضي فقط، والبعض منها تظهر بشكل بارز تملكها الطبقة المرموقة، وتحتوي على طابق أول وعموما فإنها لا تتعدى قامة إنسان عادي وفارس يتعدى بسهولة المدنية بأكملها وكل هذه البساتين والبلدان محاطة بسور به أبواب ومحصنة في زواياها وفي كل نواحيها المربعة للدفاع عنها"¹.

المطلب الخامس: الأدب الشعبي في وادي سوف

الأدب الشعبي وإن اختلفت تعاريفه فهو في الأصل حالة إبداعية صادقة لشعب لم يستسلم لأميته، ولم يكتب مشاعره فعبّر عن ماضيه وحاضره وطموحاته وآماله بمختلف الوسائل مستندا ومستلهما من تاريخه وجذوره ومحيطه ومقوماته الأساسية.

والمجتمع في وادي سوف بطبيعة تكوينه وامتداده التاريخي إنساق وراء تيار الحداثة، وإن حدثت في بعض التغيرات والتطورات المدنية الحديثة تكاملت مع أصالة فلم يخرج عما تعارف بينه من أعراف وتقاليد ويظهر ذلك جليا من خلال أدبه الشعبي الضارب في أعماق تاريخية وأحيانا هو امتداد للأدب العربي بلغة ملحنة، ويبرز لنا الأدب الشعبي في وادي سوف من خلال تعدد ألوانه واختلاف صنوفه وهو غزير ومتنوع منها:

الشعر الشعبي ومن أغراضه الفخر، الحماسة، الحكمة، الرثاء، الغزل، الوصف، الهجاء والمدح.

¹ علي، غنابرية، مجتمع وادي سوف. ص 123.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

أما رواه فمنهم الذي وصلنا شعرهم أمثال الشاعر: بن دوال، إبراهيم بن سمينة ابن الناي، قدور بن تومي، محمد السويحي (حمه اللوزي) وعلي بلعوينية، أحمد لعطيلي، أحمد بن مسعود، البشير بن صالح بن داسي، وحمه بن رايح كزوز....

ومن معاصرين أمثال الشاعر علي عناد، عبد الرزاق شوشاني و الساسي حمادي¹.

ويقول الشاعر الساسي حمادي في قصيدة الليل الطويل:

محتار قلبي ما قدر يتهنى	والوطن لستعمار جور عنه ²
بيـه أنـخـم	في ليل أسود والظلام مظلم ³
لا قدرت نصبر لا نقد نتكلم	ومرار طعمه العيش أهنا ⁴
الشعب جملة ع الكفاح مصمم	والحرب صبحت فرض فات السنة
الحرب صبحت واجب	على كل من قادر أروح إحارب ⁵

يقول الشاعر علي عناد من قصيدة " عظم الشقاء " وهي تنطوي تحت شعر الوصف:

الناس كاملة متهنية ومرتاحة	وعظم الشقاء إيس عليه الراحة
عظم الشقاء يا ويـله	كون مات ريح خير له وقيله
من دون جيله طول ضارب ليله	ناره شعيله ما إشوف الراحة

¹ محمد الصالح، بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم. ط 1. مطبعة سخري. 2012. ص 17، 18.

² جور، غلب وقهر وظلم.

³ مظلم، اشتد ظلامه.

⁴ أهنا، أهلنا.

⁵ محمد الصالح بن علي، حمادي محمد نافع. الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره ط 1. من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي. 2006. ص 23.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

كل وين يمشي تعرضه تعكيـله	عمره مشي جملة عقب كـلاـحه
عمر الهـانـة	إمـعـدي حـيـاته كامـلة تـعـبانـة
بلا حساب رب فاتحه بيـبـانه	وعظم الشقاء بابـه عـنـدي مـفـتـاحـه
استغفر تلك يا خالـقـي مـولـانا	أفـتـح عـلـينا نـخـرجـو لـلـسـاحـة
أفـتـح عـلـينا بـابـك	حـتـى جـمـوعـه انـزـيـحـو مـن عـذابـك
قالوا إلـقـرو ونـظـروا كـلام كـتابـك	اللـي صـبر إنـال فـي مـطـراحـه
كل شـيء بـيـدك قـدـرتـك بـأسـبابـك	إحـناـيا صـبرنا وما وـجـدنا راحـة ¹

ويقول عبد الرزاق شوشاني في قصيدة سجل يا تاريخ:

سجل يا تاريخ ورد	في الماضي	وقض من نايـم راقـد
سجل إحكي اللي صار	وقت استعمار	كيفاش حكمـه بالباطل جار
وصاب فينا الفرصة دار	وعلى دزائر بد	وفوق الـمية علينا شد
سجل وأحكي بالتصاح	على الكفاح	واش ما ضحت فيه أرواح
وشعب دزائر ع لجراح	صمم وصمد	عدد مليون ونصف فقد
سجل وأحكي باختصار	على الثوار	رجال وقفوا ضد لستعمار
صيدوه طبو لهيب النار	عليه قاموا الحد	وصبروا سبع سنين عدد
صبروا سبع سنين عداد	قاموا الجهاد	وطردوا لعدام لبلاد

¹ محمد الصالح، بن علي، من روائع الشاعر الشعبي علي عناد. ط 1. من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي. 2008م. ص 71.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

تحررنا ورجعنا أسياد والنصر انـزاد ضوي نور بلادي وقاد¹.

أما بالنسبة للغز الشعبي فإن الفكر الشعبي ورغم بساطته لا يخلو من عنصر التشويق في السرد والإلقاء وهذا ما يترجمه لنا الأدب الشعبي عامة من الحكايات والأساطير وأمثال ونكت وألغاز وهذه الأخيرة لا يكاد مجلس سمر يخلو منها لما فيها من إعمال للفكر وروح ودعابة، والألغاز هي جزء لا يتجزأ من أدبنا الشعبي وفقرة مهمة من عموده الفقري ويعتبر اللغز شكل أدبي قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية كما أنه يساويهما في الانتشار، ولم يكن اللغز في الأصل مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها بين ثل الأ أصحاب في الأمسيات الجميلة، وهذا ما يدفعنا لأن نبحثه بوصفه عملاً أدبياً شعبياً أصيلاً شأنه شأن الأنواع الأدبية.

والألغاز هي مظهر من مظاهر الآداب والتراث الشعبي هو جزء من ثقافة الشعب وتعبير عن جوانب ثقافته المادية والعقلية والروحية والاجتماعية، فالغز من خلال السؤال والجواب يعطي ملامح خاصة لنوعية الثقافة الشعبية السائدة في المجتمع.

بجانب ما تحمله من تصوير لبعض جوانب الحياة في البيئة وإظهار المهارة الفكرية، والألغاز الشعبية التي عرفها الإنسان منذ القدم تستخدم تعبيرات متناقضة تعتمد على المهارة اللغوية، والمسميات المتشابهة، لأشياء متغيرة ومختلفة إلا أنها تحمل إجابة بسيطة مما يفاجئ السامع الذي يبحث عن الإجابة للمعنى المخلف أو المحتجب وتظل الألغاز بهذا من أقدم الأنماط الإبداعية التي سائرت الإنسان في حياته في محاولة اكتشاف خبايا الطبيعة ومحيطه².

والأدب الشعبي في منطقة وادي سوف غزير جدا ومن بينها الألغاز التي نعطي أمثالا لها:

¹ محمد الصالح، بن علي، عبد الرزاق شوشاني شاعر الوطن والبادية. من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1 نوفمبر 2010م. مطبعة مزوار. ص

² نبيلة، إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي. ص 191.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

اللغز الشعبي يعبر عن الغموض مثل: " طاحت حبه في بير، ما عرفناها قمح وإلا شعير"¹ وهو يعبر عن جنس الجنين من حيث الذكورة والأنوثة.

وكذلك: " عمتك أخت أبّاك خال ولدها، واش يقربلك؟"² أبي.

"لبعاد قربوا، والجماعة تفرقوا، والإثنين ولوا ثلاثة"³ لبعاد قربوا يقصد العينين من حيث القدرة على النظر الذي كان بعيدا فصار عند الكبر قريب لضعف النظر، والجماعة تفرقوا الأسنان التي تفرقت والاثنتان الذي صار ثلاثة، فهما الرجلان قد أضيف إليهما العكاز بعد الضعف والشيبة.

" عبد الصمد قال: يا قابس بعيني شفت النّوار فوق العود اليابس!"⁴ القرآن الكريم المكتوب فوق اللوح.

" أسمه بالطاء، وأحرز الطاء علاش يفوت اللي مرض مرضتين، الثالثة فيها يموت"⁵ الطلاق.

" علي بن سلطان، رقد ولا مزال، رقد مع الخادمة العجمية، خلّى الطنجيرة المهوية للريح والندى، سلسل يا جان، واستخطهم يا سماء"⁶ الضرة.

" اسمه بالخاء، معروف عند العرب والبوادي، إلّي يقوله ييات مرتاح ، وإلّي يسمعه ييات شاقى"⁷ الخراف.

¹ كمال بن عمر، الأغاز الشعبية في منطقة وادي سوف، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي الجزائري، إشراف الدكتور معمر حجيج، 2007، ص 88.

² المرجع نفسه، ص 90.

³ المرجع نفسه، ص 90.

⁴ المرجع نفسه، ص 104.

⁵ المرجع نفسه ص 105.

⁶ المرجع نفسه، ص 106.

⁷ المرجع نفسه، ص 108.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

" مكركب لا فيه راس ولا عينين، الجلد جلد واحد واللحم لحمين"¹ البيضة.

" أربعة مطارق في بير غارق"² الناقة.

" الأنثى شدت لحبال وقالت: يا عالي الدرجات، جابت الناقة والذكر، والأنثى غلبت باللذات"³ الزيدة.

المطلب السادس: العادات والتقاليد

المولد النبوي الشريف: يحتفل الناس بمولد سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم تحتفل به الأمة الإسلامية وكل واحد حسب عاداته وتقاليده أما عن احتفالية المولد في منطقة وادي سوف تحكي لنا الحاجة هنية⁴: تقوم بتحضير وشراء الشموع وما يلزم لختان الأطفال من ملابس ومنها ما يسمى بالعامية " الجلاب"⁵، وهناك الراية وهي عبارة عن عصا ويربط بها قطعتين من القماش الأحمر والأبيض وتعلق في سطح الدار ومكان عالي وتغني عليها النسوة وكذلك الأطفال يحتفلون بالمولد النبوي الشريف بشراء المفرقات التي تسمى " النفاط" وكانت في القدم يصنعونها بأيديهم، وفي أول أيام شهر المولد المبارك يحتفل به في المساجد بعد صلاة العشاء بالتقصيد وهو ذكر النبي عليه الصلاة والسلام من أول يوم ولد فيه حتى مماته بكلمات تسمى " البردة" وهذه كلماتها:

مولاي صلي وسلم دائما أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم⁶

¹ كمال بن عمر، مرجع سابق. ص 110.

² المرجع نفسه. ص 112.

³ المرجع نفسه. ص 113.

⁴ الحاجة هنية طويل، تبلغ 76 سنة، حي 5 جويلية، الرقية، الوادي، لقاء يوم 15 / 04 / 2015 على الساعة 18،00 مساءً.

⁵ الجلاب، هو عبارة عن قطعة من القماش توضع في مزيج من الأعشاب العطرية وتوضع في قماش أبيض وترش بماء وزعفران وتعلق على صدر الطفل قبل أن يخنن. نفس اللقاء ونفس السيدة.

⁶ نفس الحاجة، نفس اللقاء.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وكذلك هناك الهمزية والبرزنجي، التي تحكي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من يوم مولده حتى وفاته، وكذلك هناك قصيدة أخرى وهي:

زاد النبي وفرحنا بيه يا عاشقين رسول الله صلوا عليه

أول ما نبدأ باسم الله الهاشمي ابن عبد الله

يا سعد من حج وصلى وزار الحرميين

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول في صبيحته تأخذ الناس الصدقات إلى المساجد من خبز وشاي ورقاق وهو خبز عربي وأكلة تسمى "العصيدة" وهي مكونة من دقيق وماء وبعد طهيها تقدم مع المرق أو الزيت والسكر، وفي الليل نضيء الشموع وتكثر الناس من الابتهالات دون أن ننسى الصيام فرحا بمولد سيد الخلق، فهذه كلها مظاهر تعبر عن الاحتفال بمولد سيد الأنام وذلك من خلال عامة الناس والمساجد.

وتروي لنا الحاجة بأن يكون السهر في الليل وتحكي العجائز سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وماذا وقع له في مولده وحياته ومواقفه النيرة ويحكونها للأطفال لاستخلاص العبر والعظات والإقتداء بهديه وسنته وفي ليلة الثاني عشر من الشهر تبيت الناس ساهرة ومستيقظة في المساجد والجوامع وتقصد وتروي سيرة وأحداث حياته حتى الصباح.

المولد النبوي الشريف يعتبر مناسبة دينية تتمثل في مولد خير البشر محمد عليه الصلاة والسلام وإحيائها أمر جيد لأنها تذكرنا بمولد المصطفى وكذلك من خلال إحياء سيرته وإشاعة سنته العطرة بين الناس وكذلك جاءت لتواكب تعاليم ديننا الحنيف من خلال الجوامع والزوايا ويكون ذلك بذكر الله وقراءة القرآن ومدائح الرسول صلى الله عليه وسلم وإحياء سنته بين الناس.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وذلك من خلال علاقة الإنسان بالإنسان وكذلك خدمته للإنسان، فنلمس من خلال عادات وتقاليد المولد النبوي الشريف خصائص أهمها التراحم والتكافل والتراور وذلك من خلال الصدقات والمأكولات التي يتبادلها الجيران فيما بينهم¹.

كذلك هو فرصة لاجتماع الأهالي والسكان في جامع أو زاوية لذكر الله أو قول مديح في الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا إحياء سنته العطرة والتواصي على العمل به.

عاشوراء: (شايب عاشوراء)

ما أن تحل الأيام الأولى من شهر، محرم حتى تبدأ الاحتفالات الشعبية بعاشوراء، وهي تلقائية تتسم بطابعها الشعبي لعل أبرزها المسرح الفكاهي الذي يسمونه بشايب عاشوراء، حيث يتجمع الناس كل ليلة في ساحة واسعة، ويجلس جمهور المتفرجين على الأرض الرملية في حين تبدأ عروض القائمين، حيث تتنوع الفقرات، وتختلف فمنهم من يتقمص شخصية الرجل الفقير، المسكين ومنهم أمير البلاد والعباد، ومنهم شخصية المواطن الساذج البريء وأغلبهم يتموه بمختلف الأقنعة، فأحدهم يضع على وجهه الدقيق (الفرينة) حتى لا يظهر أمام الناس، وآخر يتموه بغطاء شفاف، وهكذا تجد في الحلبة أنواع وأشكال من الرجال المقنعين الذين لا تظهر إلا أجسادهم ويبدوون في نقد أوضاع المجتمع، فيتهكمون من بعض تصرفات العباد وأذكر أن يكون شخص كان يقوم بدور شايب عاشوراء أي انه يرتدي " شكارة خيشة " يفتحها في جهة الرأس واليدين ويصبغ وجهه باللون الأبيض حتى لا يعرفه من يراه، إلا من يدقق فيه النظر، أو يتعرف عليه من خلال الصوت، ويقفز بشكل مثير ويضحك الجمهور بعباراته الساخرة، وحركاته البهلوانية وكان هذا المسرح الشعبي كله معتمد على التلقائية فليس هناك مخطط موضوع من قبل وحتى كلمات الحوار الذي يؤديه الممثلون فإنها وليدة الساعة الحاضرة، وإذا أراد أي مواطن من الجمهور يتقدم إلى الحلبة للتمثيل فيها، فإن المجال مفتوح أمامه.

¹ الحاجة هنية طويل، تبلغ 76 سنة، حي 5 جويلية، الرقية، الوادي، لقاء يوم 15 / 04 / 2015 على الساعة 00،18 مساءً.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

إنه مسرح شعبي، تهكمي، ساخر يمتاز بالعفوية، والتلقائية، وكانت عروضه تدوم لمدة عشرة أيام، في عاشوراء وقد نال نجاحا كبيرا في ظل غياب كلي لوسائل الترفيه والتسلية¹.

أما النسوة، وخاصة المتقدمات في السن، فإنهن يختزن بيتا لإحدى الجارات، أو يتجمعن أمام باب منزل مطل على الشارع ويبدأ في ترديد القصائد الشعبية منها مثلا²:

يا قمره يا وقاده والغالي راح لبلاده

أو:

البير اللي شرينا ماه وبالملف غطيناه

أخيَّك يا بنية رحلنا وخليناه

أنهن يتألن من الغربة والوحدة، ومعاناة الحياة اليومية القاسية ويعبرن عن ذلك بترديد القصائد الشعبية الجميلة، التي تعبرن على مألهن وتكون متنفسا لهن في ظل الظروف الصعبة اللواتي يعشنها³.

ليلة القدر:

تروي لنا مسعودة زلاسي فيما يخص عادات ليلة القدر الفاضلة، وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فمند الصباح الباكر نجد الأطفال يتجولون في الشوارع ويتوقفون عند أبواب المساكن مرددين جماعيا:

طاب وإلا مزال كان طاب هاتوه

كان مزال خلوه انزيدوا ساعة وانجوه.

¹ الحاجة طويل هنية لقاء، 17 / 04 / 2015، على الساعة 10،00 صباحا.

² الحاجة طويل هنية لقاء، 17 / 04 / 2015، على الساعة 10،00 صباحا.

³ ينظر حسان الجيلاني، قصة العودة مذكرات عائد من الرديف تونس إلى وادي سوف الجزائر في طائفة الاستقلال، الجزء الأول، دار هومة للطباعة والنشر. سنة 2011. ص 220، 221.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

ونقوم العائلات يفتح أبوابها للأطفال لنقول لهم ربّة المنزل مازال قليلا، فيتجه الأطفال إلى منزل آخر،

وهكذا يستمرون في الدوران وسط الحي الشعبي إلى أن يمرّوا على أغلب المنازل¹.

ومن عادة السوافة أن يطبخوا في صباح يوم "القديري" نسبة إلى ليلة القدر الحمص، أو الفول، والكسرى، حتى إذا جاءهم الأطفال منحوهم صحننا منه، وبعضا من الحلويات المختلفة، فيحمل الأطفال تلك الهدايا من المأكولات المتنوعة إلى ذويهم وعائلاتهم المعوزة².

أما في المساء فإن فطور رمضان سيكون "كسكسي" بالتأكيد مع الشربة (الجاري في المنطقة يسمى) ويتم توزيعه على الفقراء والمساكين وبالإضافة إلى ذلك عادة ما وهي أن تخرج العائلات الصدقات على أرواح موتاهم، فتتبرع بالسמיד، والزيت وأحيانا اللحم الذي كانت قيمته كبيرة في ذلك الوقت، وعادة ما تكون تلك الصدقات إما مطهّوة أو نيّة، أما بعد الإفطار فإن المساجد تعمر عن آخرها، أطفالا ورجالا يصلون التراويح ويقرؤون القرآن إلى غاية الصباح³.

المبحث الخامس: الجانب الثقافي والديني

إن الثقافة هي السلوك ونمط التعبير الذي يختص به مجتمع من المجتمعات⁴، والثقافة الشعبية بجانبها المادي والفكري تنبع من صميم المجتمع وتشمل ثقافته الماثورة القديمة والحديثة، الثابتة والمتغيرة كونها تعبر عن شخصية الشعب المادية والمعنوية وتعتبر عاملا مساهما في التفكير العلمي ومختلف ميادين الحياة لأنها تعبر عن ماضيهم وحاضرهم كما تزرع بذور مستقبلهم⁵.

¹ مسعودة زلاسي، 68 سنة من عرش الأعشاش، حي الأمل، الرقيبة، الوادي. لقاء يوم 18/04/2015 على الساعة 17،30 مساء.

² حسان، الجيلاني، المرجع السابق. ص 217، 218.

³ مسعودة زلاسي. اللقاء السابق، الرقيبة الوادي.

⁴ ينظر، معيني زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي. قرص مضغوط، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. الكويت (يناير 1978م) ص 33.

⁵ ينظر ثريا تجاني، دراسة لغوية اجتماعية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري (وادي سوف أنموذجا)، دار هومة للطباعة والنشر (الجزائر)، ص 13.

الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف

وسكان سوف كما يعبر عنهم الأستاذ الدكتور "غنازية" يستمدون ثقافتهم من عدة مؤسسات أهمها الأسرة ، الزاوية، المنتدى ويشرف عليها الأولياء ورجال الطرق والمرابطون وبعض الدجالين الذين يروجون الخرافة ويرعون الأسطورة، وقد انعكست بعض أشكالها في الآداب الشعبية في هذه المنطقة¹. فمنها ما هو ديني ومنها ما ليس ديني:

I أعياد الدينية:

- 1- عيد عاشوراء: هو يوم 10 محرم، وتقام فيه مهرجانات القنط و شايب عاشوراء طيلة عشرة أيام الأولى من شهر محرم²، يقول المثل: " خليفة العيد عاشوراء".
- 2- عيد المولد: يطلق على شهر ربيع الأول يبدأ الاحتفال به منذ دخول الشهر إلى ليلة الثاني عشر منه من كل عام، وتتلّى فيه قصائدها أشهرها: البردة،...
- 3- عيد رجب: عيد المعراج، ويكون ليلة السابع والعشرين من رجب، وهي ذكرى الإسراء والمعراج.
- 4- عيد الشعبانية: يكون في منتصف شعبان، ويتلى فيه دعاء خاص³.
- 5- ليلة القدر: وتكون في السابع والعشرين من رمضان، ويفرح فيها الأطفال لأنهم في هذا اليوم يترددون على البيت وتقدم لهم الحلويات. وفي مساء هذا اليوم تقدم لهم وجبة من الكسكسي واللحم.

كذلك عيدي الفطر الذي يصادق يصادف الأول من شوال و الأضحى: " من فاكذك يا الرّيّة نهار الضحية"⁴ الذي يصادف العاشر من ذي الحجة واللذان يدخلان البهجة والسرور على

¹ ينظر علي غنازية، مرجع سابق ص 149.

² محمد الصالح بن علي، مدونة 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ط1، 1980، باتنة، ص 32.

³ ينظر علي غنازية، مرجع سابق. ص 171.

⁴ محمد الصالح بن علي، مدونة 1500 مثل وحكمة شعبية، ص 82.

قلوب الصغار¹.

II. أعياد غير دينية:

- 1- عيد الخريف: ويكون في الأيام الثلاث الأخيرة من شهر أوت والتي تصادف اليوم الأول من الخريف، وفي هذا العيد يشترك سكان الحي الواحد في ذبح ناقة أو جمل.
 - 2- عيد الربيع: ويسمى عند السوافة " ثقطيوط " ويأتي في منتصف الربيع، وتحضير فيه الكسرة بالدهان، ويقول السوافة معبرين عن فرحتهم بدخول هذا الفصل: " في فورار يستوي الليل والنهار ويتزوج لطيار"² " فورار 15 نار، 15 نوار"³.
 - 3- عيد العنصلة: ويكون في منتصف الصيف حين يعنصل البصل وينضج.
 - 4- عيد وقوف العرجون: يكون في الأيام الأولى من الصيف حين يتوقف العرجون عن الزيادة
 - 5- المايوات هما: - مايو الصيف وهو أول يوم منه.
- مايو الربيع 15 يوم من الربيع⁴

¹ ينظر علي غنابزية، مرجع سابق. ص 171.

² محمد الصالح بن علي، المدونة السابقة، ص 56.

³ فورار، شهر نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع (السيدة عائشة مسعودي، 83 سنة، حي 05 جويلية، الرقيبة، الوادي). لقاء يوم 18 / 04 / 2015، على الساعة 17،00 مساء.

⁴ ينظر مفكرة نهاية القرن العشرين 1999/ 2000 م فكرة وإعداد المطبعة العصرية، الوادي.

الفصل الأول: ماهية الأمثال وقيمة المرأة في الإسلام

المبحث الأول: تعريف الأمثال

المبحث الثاني: صعوبة معرفة قائل المثل (نشأة المثل)

المبحث الثالث: وظائف المثل

المبحث الرابع: هدف المثل

المبحث الخامس: خصائص ومميزات المثل الشعبي

المبحث السادس: قيمة المرأة في الإسلام

يعد الأدب الشعبي علما مستقلا بذاته، يحتل مكانة هامة في الدراسات الفلكلورية لأنه موروث ثقافي لا يمكن الاستغناء عن مظاهره ويتضمن الخطاب الشفوي كموروث ثقافي، أشكالاً من التعبير الشفاهي المتكامل الذي يشمل من الحكاية والقصص والأغاني والألغاز، الأساطير، الأحاديث، النكت، والحكم والبوقالات، والأمثال الشعبية، والتعرض لأحد التعبير والخطاب الشفاهي، يقودنا إلى استكشاف المظاهر والدلالات الثقافية والاجتماعية للمجتمع بتناقضاته وتعقيداته، فالأدب الشعبي هو الذاكرة الحية والمتحركة للشعب، لأنه يتلقى المخالفات الثقافية شفاهياً، وتداولها جيلاً بعد جيل بحفظها في الذاكرة الجماعية، وهذا السبب الذي ضمن خلودها بين فئات المجتمع، فهو يعكس فلسفة وواقع المجتمع وثقافته الأصلية، باختلاف مستوياته الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها.

وتعد الأمثال الشعبية أحد أشكال الأدب الشعبي المتميزة عن باقي أشكال الأدب الشعبي الأخرى، فهي تحمل في طياتها دلالات اجتماعية وثقافية عن مظاهر الحياة العامة السائدة في المجتمع، إنها المرآة العاكسة لحالته، فهي تعكس فلسفة وحكمة الشعب النابعة من الواقع الاجتماعي.

إن المثل الشعبي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من التراث الشعبي الذي يتداوله ويحفظه أفراد المجتمع جيلاً بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية، ليأتي المثل الشعبي بذلك في مقدمة أشكال التعبير الأدبي المذكورة آنفاً، فهو أقدر أنواع الأدب الشعبي على تصوير الحياة الاجتماعية وما يدور فيها من علاقات وتعاملات وأحداث وغيرها.

سنستطرق في هذا الفصل إلى التعريف بالمثل وأهدافه وخصائصه ومميزاته وصعوبة معرفته قائله، والقيمة التي أعطاها الإسلام إلى المرأة والتي رفع من شأنها.

المبحث الأول: التعريف بالمثل

المثل لغة: لقد ورد ابن منظور في لسان العرب عدة معاني لمادة مثل نذكر منها هذا مثله ومثله كما يقال شبهة وشبهة وقولهم فلان مستراد لمثله وفلانة مستراة لمثلها أي مثله يطلب ويشح عليه والمثل الحديث نفسه وهي الأمثال المثل بمعنى العبرة والمثال المقدار وهو من الشبه والمثل ما جعل مثالا وقد مثل الرجل بالضم مثالا أي صار فاضلا والأمثل الأفضل¹.

وقال أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة والمثل المثل أيضا كشبة وشبه والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكر مروى به عن مثله في المعنى وقولهم: مثل به إذا نكّل هو من هذا أيضا لأن المعنى فيه أنه إذا نكّل به جعل ذلك مثالا لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه².

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة ومثل الشيء بالشيء سويا به وقدر تقديره قال سلم بن معد الوالي:

جزا الله فيك الموالي نصفاً وكل صحابة لهم جزاء

بفعلهم فإن خيرا فخيروا وإن شرا كمثل الحذاء³

وشرح المنجد الأبيدي " المثل": ج أمثال " الحديث والعبرة" القول السائر بين الناس الممثل بمضربه أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام وألفاظ الأمثال لا تعتبر تذكيرا وتأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا بل ينظر فيها دائما على مورد المثل أي أصله يقال المثل السائر " الصفة" الحجة، الشبه، النظير...⁴

¹ جمال الدين مكرم بن المنظور، لسان العرب. مج 11 صرف اللام. دار صادر بيروت، د.ط. 1412هـ \ 1992م. ص 210، 215.

² أحمد بن فارس أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت. ج 5. ص 296، 297.

³ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج 5. دار العلم للملايين ط3. 1404هـ \ 1984. 1816.

⁴ المنجد الأبيدي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان المشرق ط 8. د ت. ص 903.

الفصل الأول: ماهية المثل الشعبي

أما عن معنى كلمة مثل في القرآن الكريم فتد بمعنى التماثل في الصفة لا في العدد¹، ومن ذلك قوله تعالى: << وإن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله >>².

لقد زخر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والمطولة وضرب الله أمثالا فيه لترسيخ الإيمان ولتقريبه لأن ما جاءت من معاني هي غيب عنا <> ولقد ضربنا للناس في القرآن من كل مثل <>³.

<> ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون >>⁴، على انه لا بد لنا من أن نتفطن إلى الله سبحانه وتعالى حيث يضرب الأمثال في القرآن الكريم وإنما يأتي بالأمور مجتمعة ولا يأتي بها فرادى⁵، وذلك من قوله: <> ومثله كمثله الذي أستوقد نارا >>⁶ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا <>⁷.

ولا تقتصر الأمثال في هذا القرآن في هذا القرآن على ذلك بل فيها تحديا للبشرية⁸، مثل قوله تعالى: <> يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له <>⁹.

¹ داوود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن. دار الحرف العربي، بيروت لبنان ط2، 1420هـ \ 1999م ص 149.

² سورة البقرة. الآية 23.

³ الروم. الآية 58.

⁴ سورة إبراهيم. الآية 25.

⁵ محمد متولي، الشعراوي: معجزة القرآن ج1. مطبعة أمزيان الجزائر. د ط. د ت. ص 31.

⁶ سورة البقرة. الآية 17.

⁷ سورة الكهف. 46.

⁸ محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن. ج 1. ص 33.

⁹ سورة الحج 73.

التعريف الاصطلاحي:

نجد عدة تعاريف للمثل منها من أعطى الأولوية أو أغلب الجانب الأدبي على الجانب الاجتماعي وهناك من يقدم ويركز على شكل المثل وأسلوبه، وابن المقفع يرى أن الكلام إذا جاء على شكل مثل كان أحسن إلى السمع وأخف على الحفظ حيث يقول: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأخف للسمع وأوسع للشعوب الحديثة¹.

والشيء نفسه بالنسبة لابن عبد ربه الذي يركز أيضاً على الخاصية الجمالية فيقول: والأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقي من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل: أسير من مثل². فهو هنا يؤكد على سعة المثل منذ القدم إلى الآن.

أما المرزوقي فيركز على خاصية قصر المثل حيث يقول: المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلتها بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، ومن غير تغيير ليلحقوا في لفظها وعما يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عنها³.

ويقول أبو عبيد القاسم: "إن الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض أحلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجمع بذلك ثلاث خلال. إيجاز اللفظ، إصابة المعنى وحسن التشبيه"⁴.

¹ الميداني أبي الفضل، مجمع الأمثال. منشورات دار مكتبة الحياة. لبنان مج 1. ط2، د.ت. ص 14.

² ابن عبد ربه، العقد الفريدة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان. ج 3. 1402هـ \ 1982م. ص 63.

³ السيوطي، المزهري في علوم الأدب وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية ج 1. 486.

⁴ الماوردي أبو الحسن، الأمثال والحكم، تحقيق عبد المنعم أحمد. دار الحرمين قطر ط 1. 1403هـ / 1983م. ص 12. 13.

ويتميز المثل لأنه عام وبسيط حيث يعرفه الفراي في كتابه "ديوان الأدب" بقول: بأنه ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم، وفاقوا به في السراء والضراء، واستندروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القضية وتفرجوا به عن الكرب والكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على الناقص أو المقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة¹.

ونقلا عن الميداني قال ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه، معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره²، وقال أبو إسحاق إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية فهو نهاية البلاغة³.

وقد حاول الأستاذ التلي بن الشيخ تحديد مفهوم المثل في العبارة التالية: المثل جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة...، و المثل الشعبي تقصير أو تلخيص لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها⁴.

ويعرفه عز الدين جلاوجي المثل بقوله: هو عبارة موجزة لطيفة اللفظ والمعنى، يصدر عن عامة الشعب ليكون مرآة صادقة له، يعبر عن مخزونه الحضاري وواقعه المعيش وآماله وتطلعاته المستقبلية وهو مرتبط غالبا بحكاية وقعت سواء عرفنا قائله أم جهلناها⁵.

ويعرفه الدكتور رابح العوي، بأنه قول سائر أو مأثور، فرضي، أو خرافي يتميز بخصائص ومقومات يرسل لذاته وينقل من ورد فيه إلى ما يحاكيه في معنى مبنى فإذا كان في الجوهر استعمل فيه

¹ الفراي، ديوان الأدب ج 1. ص 14.

² الميداني أبي الفضل، مجمع الأمثال. مصدر سابق. ص 13.

³ المصدر نفسه. ص 14.

⁴ التلي ابن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري. 1990. ص 19.

⁵ عز الدين جلاوجي، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، د. ت. ص 11.

الند، وإذا كان في الكيفية استعمل فيها الشبه، وإذا كان في الكمية اتخذ لها لفظ المساوي وإذا كان في القدر والمساحة عبر بلفظ الشكل وكلها تنطبق على لفظ المثل فهو يدل في صميمه على ما يمثل به الشيء دون تغيير في المعنى مع المخالفة لفظه للفظ المضروب الذي قام مقامه على وجه تشبيه حال الذي حكا فيه بحال الذي قيل لأجله وهذا تشبيه بالمثال الذي يعمل عليه غيره، ومعنى هذا يحصل من معنى ذاك أيًا كان التشبيه وأيًا كانت طريقته¹.

فالمثل هو وليد البيئة التي أنتج فيها أول مرة ونتاج اجتماعي يشترك فيه كل أفراد المجتمع كما أنه يبرز الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها والعالم الاجتماعي مثله مثل المؤرخ يستطيع أن يتعرف على العادات والتقاليد والأعراف التي تسود مجتمع الأمثال الشعبية لأنه كمادة تراثية يحمل في طياته أحداثًا تاريخية واجتماعية هامة عن المجتمع الذي أنتجت فيه، فهو وليد هذه البيئة ووليد تجربته الطويلة تعكس ما يتصل بالحياة الاجتماعية من صراعات وتناقضات إنه يتصل بكل مناحي الحياة الإنسانية فتراه يعالج الأخلاق الحكمة والتربية والتوجيه، والسخرية والتهكم والنكتة والفكاهة والعظة والعبرة والحب والكره والاضطراب والاطمئنان، والخوف، الأمن، السعادة والشقاء والخصب والجذب والحرب والسلم والحياة والموت،² وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن المجتمع الذي يحمل في تراثه هذا اللون من الأدب الشعبي هو مجتمع يزخر بتراث عريق، يبرز مستوى ذكائه وفكره، حكمته وحرته في التعبير.³

¹ رابح العوي، المثل واللغز العاميان، ط1، 2005. ص 4 - 3.

² عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وعلاقتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1981م. ص 112.

³ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية في قرية الحمراء ولاية برج بو عرييج. الجزائر. 1992. ص 13.

المبحث الثاني: صعوبة معرفة قائل المثل ومنبعه (نشأة المثل)

تقول نبيلة إبراهيم أن فريدريك زايلى دعا بشدة إلى وجوب احترام فكرة الفردية في خلق المثل الشعبي معارض للفكرة التي افترضت مساهمة الشعب بوصفه وحدة في خلق نتاجه الأدبي، فزايلى يقول أن الشعب لا يستطيع بوصفه كلاً، أن يخلق شكلاً أدبياً مكتملاً، وإنما كل مثل ينطق به الفرد في زمان معين ومكان معين، وإذا مس المثل حس المستمعين له، فهو حينئذ ينتشر بينهم، وكأنه عبارة ذات أجنحة وعندئذ يتعرض ذلك المثل للتحوير والتهذيب، إلا أن يوضع في قلبه القانوني بوصفه مثلاً شعبياً.

فنبيلة إبراهيم توافق زايلى في فكرة مساهمة الفرد والجماعة في خلق المثل إلا أنها قالت أن المثل الشعبي لا يصح أن يصبح عبارة ذات أجنحة إلا في المرحلة الثانية من انتقاله أي عندما يساهم الشعب في وصفه¹.

ومن الصعوبات التي تعترض دارس الأمثال الشعبية:

__ عدم اهتمام الناس بمعرفة قائل المثل المنتشر بينهم، لأن الذي يهمهم منه هو مدى تعبيره كما تزخر به نفوسهم.

__ تعدد منابع الأمثال، فهناك أمثال ريفية وهناك أمثال حضرية ومعنى هذا أن الأمثال تنحدر من عدة أوساط أو طبقات اجتماعية، فهناك أمثال أصحاب الصناعات، أمثال النساء، أمثال الرجال. عدم الاهتمام والعناية بالحادثة التي أوجدت المثل لمعرفة الأمثال التي اخترعت من غيرها، أو الوقائع الحقيقية من المزيفة لأن هناك بعض الأخبار وضعت بغرض تعليل بعض الأمثال².

¹ ينظر نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. مرجع سابق. ص 175. 176.

² رابع العوي، المثل واللغز العاميان. مرجع سابق. ص 4، 5.

ينبع المثل العامي من أفراد الشعب، وبالتالي فهو يمثلهم جميعاً، بل هو صوتهم الذي يحمل في كلماته دلالات اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو دينية وما إلى ذلك مما يفتح أمامنا باب الاستدلال على حالات الشعب أو أفرادهم أو بيئته أو زمنه من حيث قرب العهد أو بعده.

ولكن إذا جاز هذا بعض القرائن فإنه من الصعب جداً معرفة صاحب المثل لأسباب هي:

__ تشابه الأمثال وتعدد منابعها.

__ صدور الأمثال عن تجارب قد تكون مشتركة بين أفراد من مختلف الطبقات.

__ صياغة الأمثال في شكل جمل لا تعتبر في البدء مثلاً، وإنما تصبح مثلاً بكثرة التداول الذي يخضع لذوق الشعب أو الفرد الذي يكثر من استعمال القول دون النص على صاحبه.

__ عدم تدوين الأمثال في حداثتها لدرجة نسيان قائلها.

__ التخلي في ذكر الأمثال عن نسبتها، في أثناء روايتها أو التمثيل بها إلى قائلها.

__ كثرة دوران الأمثال في الحديث اليومي بين مختلف طبقات الأفراد وحاجتهم إلى معناها أكثر من حاجتهم إلى قائلها.

__ إناطة الهدف من ذكر المثل بالمقام اللائق به من حيث التمثيل به أو التشبيه الذي هو الأصل فيه، أخذ <>من قول هذا مثل الشيء ومثله، كما تقول: شبهة وشبهة>> نتيجة لهذا كله تبدوا صعوبة قائل المثل الشعبي وبخاصة في شعب بدائي، وهذه الصعوبة في تعيين القائل تشترك فيها جميع الأمم على اختلاف مستوياتها في درجة التقدم أو التحضر، وتزداد الصعوبة كلما بعدنا من عهد المثل وبيئته أو منبعه.¹

¹ رابح، العوي، المثل واللغز العاميان، مرجع سابق. ص 7.6.

المبحث الثالث: وظائف المثل

تتضمن الأمثال الشعبية عدة وظائف حسب الموضوع الذي تناوله والذي يمس طبعا الإنسان وواقع حياته اليومية ومن بين أهم الوظائف التي يؤديها المثل الشعبي هي الوظيفة الاتصالية والوظيفة الأخلاقية والتربوية...

1- الوظيفة الاتصالية: المثل كغيره من الفنون التعبير الأدبي هدفه الاتصال والتواصل بين الأفراد والمجتمعات وهذا التواصل يكون بنقل تجارب الباقين وبما أن المثل يتسم بالإبداع الفني والجمالي كما أنه يعد أداة تواصلية جمالية وأيضاً ترفيهية فهو يعتبر مصدراً من مصادر المعرفة الثقافية التي تسود المجتمع.

2- الوظيفة الأخلاقية: فالمثل هو بمثابة الضابط الاجتماعي والرقب الذي يوجه سلوك الفرد، وفق ما تملّيه القيم الأخلاقية للجماعة، سواء مع نفسه أو مع أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه فالأمثال تراث يحتوي على ما لو أمكن إحكام تصويره، شعراً أو نثراً، تمثيلاً، أو قصصاً، لكان من خير الأدوات للضبط الاجتماعي الذي لا بد منه لتنشئة الأفراد، منذ طفولتهم تنشئة اجتماعية سليمة¹. بمعنى أن المثل الشعبي يقدم تجربة جاهزة عن موقف ما، أو هو يمثل خلاصة التجربة الإنسانية ويعكس المستوى الاجتماعي للمجتمع، من خلال التعرض لبعض المواقف أو التصرفات التي يحاول المثل معالجتها في صيغة أدبية فنية، فهو يحاول حماية عادات وتقاليد المجتمع من الزوال، من خلال تكريس مثلهم العليا وأخلاقهم، والمثل غالباً ما يكون مرتبطاً بقصة تشرح مغزاه، وبهذا نستطيع أن نعرف على الكثير من سمات المجتمع وخصائصه الاجتماعية، فالمثل هو الإطار الذي يحدد مجالات الحياة الإنسانية وقيمتها الأخلاقية، ويحدد ما للإنسان فيها وما عليه، حتى لا يضل في متاهات الانحراف حيث أنها تعتبر من الوسائل الفعالة داخل المجتمع في توجيه الأفراد وتعريفهم بالقواعد السلوكية المستحبة التي يجب إتباعها،

¹ حسن ساعاتي، حكمة لبنان. دار النهضة العربية. بيروت. 1980. ص 26.

والنواحي المنكرة التي يجب الابتعاد عنها، باعتبار الأمثال الشعبية ممثلة للضمير إلى كل أمة في أرقى صورة بتمييزها بين الحق والباطل، والخبيث والطيب والخطأ والصواب¹.
فالمثل يمثل إرثا ثقافيا زائرا عن طريقه نستكشف الطابع الثقافي للمجتمع والوظيفة الأخلاقية التي يحويها تعد كمحدد لمجالات الحياة الإنسانية وقيم معايير والمجتمع المقاومة لكل انحراف ثقافي.

3- الوظيفة التربوية التعليمية: وهي تحمل نفس المعنى الوظيفة الأخلاقية تقريبا، لأنها تسعى إلى تهذيب النفس وتقويم الخلق، وتعلم الفرد طرق وسبل العيش في ظل التجربة التي يتضمنها المثل، فالأمثال تعد مدرسة يتعلم من خلالها الفرد السلوك الصحيح والاتجاه السليم الذي يسلكه في حياته، فيكتسب تنشئة اجتماعية سليمة ولئن كانت التشريعات القانونية اتخذت مصدرا رسميا لتنظيم العلاقات فإن الأمثال بدورها قد اتخذت مصدرا لتشريع العادات الشعبية، وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية.² فالأمثال بما أنها حكمة الشعب وفلسفته في الحياة فهي تسعى إلى تكريس مقومات الأمة وإلى غرس عاداته ومعتقداته في الأفراد، فمنها يستخلصون الموعظة الحسنة كما يجدون المواساة فيها، وتساعد قليلي التجارب وعديمي الخبرة بتوجيههم، وهي منبر للكشف عن بعض التصرفات غير الأخلاقية بدمها، ومن جهة أخرى محاولة إيجاد البديل عنها.

4- الوظيفة الفنية: فالمثل فن أدبي له مكانته الخاصة بين فنون الأدب الشعبي يتميز بخصائص فنية، أهله للانتشار والشيوع بين أفراد المجتمع، أكثر من الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى، فهو يتميز بإيجاز عبارته، وبساطة تعبيره، كونه انبثق ونشأ من عمق الشعب وثقافته وأصالته.

5- الوظيفة الترفيهية: فبعض الأمثال تحمل الناس على الضحك والانشراح، كونها صيغت في قالب جمالي فكاهي، لكنها تحمل بعدا أخلاقيا ما، وهي تمثل خلاصة لتجارب إنسانية

¹ عز الدين جلاوي، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف. ص 16.

² إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري من أمثاله العالمية، الهيئة المصرية للكتاب، 1972م. ص 47.

واقتصادية وزراعية غايتها أن تعلم الإنسان إرثهم الشعبي فبعض الأمثال تعد كقوانين جاهزة تنظم المجتمع الزراعي.¹

المبحث الرابع: الهدف من المثل

للمثل دور كبير فبالإضافة إلى الوظائف المذكورة سلفا التي يؤديها في حياة الفرد والمجتمع إلا أننا نجد أن مفهومه ودوره واسع من كل هذا ولما كانت تجارب الإنسان تشغله إلى حد كبير، فالإنسان لا يعيش في عوالمه الصغيرة، أي في تجاربه وكلما عاش الإنسان في التجارب وأحسن بوقعها على نفسه، كان أشد ميلا للتعبير عنها وعن نتائجها فقد يحدث أن يفشل في أمر ما، كان يتوقع نجاح فيه، فإذا شاء هذا الشخص أن يصف سوء مصيره وعجز لشخص آخر يدرك موقفه تماما، فإنه يعبر عن بكلمة حظ.²

فالمثل هو وسيلة لنقل تجارب الفرد سواء كانت مفرحة أو مخزنة، فهذا التعبير عن موقفه يحيل إلى موقفين، إما إصراره على مشاركة الناس بأفراحه وهمومه وإطلاعهم عليها، وإما بهدف أخذ الغير العبرة منها، فالمثل هو رصد للسلوك الإنساني في حالات ومواقف متغيرة فهو يهتم بالعلاقات الاجتماعية المتداخلة، كما أنه يستعمل طريقة الإرشاد، حيث يقوم بعرض المواقف ثم يترك الفرصة للفرد، في الالتزام بذلك السلوك أو بتجاهله، ومن هنا يمكن القول بأن المثل الشعبي ينسجم تمام الانسجام مع نظرية التربية المعاصرة التي تحاول أن توقف بين استعدادات الفرد ومتطلباته البيئة الاجتماعية المعقدة، وعملية التوفيق في جوهرها تتلخص في وضع المرء أمام حقائق عليه أن يهتدي بنفسه إلى إدراك ما هو صالح وما هو صالح فيها.³ فالهدف من المثل يبقى أولا وأخيرا محاولة تقويم سلوك الفرد للإنسان، بتوجيهه الوجهة السليمة، التي فيها الخير والسلام له ولأبناء مجتمعه وبالتالي فالمثل يحتل مكانة مرموقة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى، فهو الأداة التعبيرية الأكثر تداولاً بين

¹ عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982. ص 11.

² نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، القاهرة. ص 177.

³ التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي. ص 181.

الناس، وإننا نعيش جزءاً من مصائرنا في عالم الأمثال ولعل هذا يفسر استعمالنا الدائم للأمثال على عكس الأنواع الشعبية الأخرى¹، فالأمثال تنبع من الشعب، وهدفها هو التعبير عن واقعه، وعن ظروف عيش السكان، عن نسائه ورجاله، عن مختلف المواقف الاجتماعية التي تحدث في الحياة ورغم بساطتها إلا أن لديها أهمية ومكانة متميزة، تنفرد بها عن سائر أشكال التعبير الشعبي، فالمثل الشعبي بما أنه نابع من عمق الشعب، فهو يصور الحياة الاجتماعية ويرسي الأعراف والتقاليد، لأنه يملئ عليهم ما يأخذون، ويلتزمون به وينبههم إلى ما يجب تركه والابتعاد عنه فهو يلعب دور الرقيب والضابط الاجتماعي الذي مهمته تقويم الاعوجاج إن وجد ومحاولة مساعدة الضال والخارج عن إطار الجماعة والعرف والتقاليد، كما أن المثل يمثل عراقة الشعب وجذوره وأصوله، أو هو بمثابة إرث حضاري تاريخي، يروي عبر ثنايا عن أخلاق ومبادئ هذه الأمة، المستمد من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وتبدو أهمية الأمثال أنها وسيلة تربية لأن فيها التذكير والوعظ والحث والزجر وتطوير المعاني² فالمثل عبارة عن تكريس للخلق الحميد، كونه عن طبقات الشعب، خاصة منها المحرومة والمحتاجة، من الفقراء والمعوزين أو ذوي العاهات يتحدث عن مختلف مراحل حياة الناس من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة، كما يتحدث عن المرأة والرجل وعن حقوقهما والتزاماتهما وعن مختلف العلاقات أو المشاكل التي تنشأ بينهما، وإن مكانة وأهمية المثل الشعبي نجدها في تعريفه المعمق لبعض فئات المجتمع، فالمثل وأهمية يصلح أن يكون أرضية، تدرس فيها أحوال المجتمع وأخلاقه ومبادئه وقيمه، لأنها تعكس الواقع بما فيه من تناقضات، وللمثل أهمية في المجال النفسي، حيث يعتبر متنفساً عن الرغبات الإنسانية، فالإنسان يمر في حياته بلحظات أليمة، فيجد نفسه محبطاً أو يائساً من الحياة أو فاقداً الأمل من ناسه ومجتمعه، فيجد الأمثال الشعبية تساعد على إيجاد الحل للحالة التي هو عليها، فالشخص يلجأ إليها بطريقة غير مقصودة، كما يقلل من توتره الناتج عن شعوره بالخيانة أو بالفشل والإحباط يقول الشيخ عبد الرحمان المجدوب في إحدى ربايعياته:

¹ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي الشعبي. ص 178.

² علي الماوردي، الأمثال والحكم، ترجمة فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، 1999. ص 20.

لا تخمم في ضيق الحال شف عند الله موسعها

الشدة تهزم الأرذال أما الرجال لا تقطعها

بمعنى كل شيء بالنسبة إلى الله لا صعوبة فيه، لذلك لا داعي إلى اليأس والجن، فصبر المرء يظهر في الشدائد وإن أرباب الشجاعة والمروءة والهمة يقاسون الشدائد ونوائب الزمان، لكنهم يصبرون ويتغلبون عليها بقوة إرادتهم وشدّة عزيمتهم.

كما أن للمثل الشعبي تأثيراً قوياً على السامع، فهو يجعل الأفراد ينصاعون كما تقتضي به قوة العرف والمعتقد الشعبي، فتأثيره عليهم بهذه الطريقة يبرر ماله من أهمية ومكانة في الثقافة الشعبية فتأثيره عليهم بهذه الطريقة التحيرية والإرشادية، ويساعد بشكل واسع على نشر الخلق القويم والتعامل مع المواقف المتجددة والمتغيرة بشكل سليم مع الحفاظ على العرف والعادات والتقاليد.

ومن كل ما سبق نستنتج أن المثل له دور كبير وأهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وكما كانت الأمثال فناً من الفنون الأدبية الشعبية الحية، تعلقت بكل شيء وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، فتراها تعالج الأخلاق والحكمة، والعضة التربية والتوجيه، والسخرية والتهكم، والنكتة والفكاهة، والعبرة والحب والحرب والسلم، والحياة والموت فكل ما يتصل بالحياة ويحوم حولها وينبع منها، أو يصب فيها، مجال فسيح لفن المثل ومضطرب عريض له¹، إذن فالأمثال عاجلت كل موضوع وتطرت إليه، فقد ركزت الأمثال الشعبية بهذه الجهة على مبدأ العلاقات الاجتماعية فكان المثل فلسفة تشع أفكاراً نيرة، يسعى القائل من خلاله إلى تأسيس هرم العلاقات المتينة بين أفراد المجتمع لقد كان رسالة تحمل أبعاد دلالية غاية في المثالية، وبالتالي أسهم في تكتل الأفراد حتى غدا المثل دستوراً منظماً للناس في حياتهم² بالتالي فالمثل يمثل باباً مفتوحاً بمصراعيه على التجربة المعاشة، وهي تمثل خلاصة لتجارب إنسانية واقتصادية وزراعية غايتها أن تعلم الإنسان العربي في الريف الجزائري ما ينبغي تعلمه، حتى لا يقع في

¹ عبد القادر ابن سالم، الأدب الشعبي بمنطقة بشار، منشورات الجاحظية سلسلة الدراسات. الجزائر، 1999. ص 28.

² عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، مرجع سابق. ص 11.

فخ الارتجال والتهور وقصر النظر إن الحياة بما فيها عالم من التجارب التي منها المر ومنها الحلو، منها القاسي العنيف، ومنها اللين واللطيف، ولكنها كلها تمثل سلسلة متصلة الحلقات بين الإنسان وواقعه، والإنسان وظروفه التي تفرض عليه عيشا معيناً.

ومن كل هذا تبرز أهمية ومكانة المثل في الحياة، ومدى قدرته الكبيرة على تعبير عن مختلف مواقف الحياة ومعالجتها أو إيجاد حلول بديلة لها كل هذا يؤكد لنا نوعاً من العصمة والخلود والرسوخ في نفوس الناس، كما كان له أثر عليهم، وسلطان على آرائهم، حتى أنهم يلجئون إلى تداوله وترديده في مواقف مختلفة، لحسم خلاف، أو إثراء حوار أو إسكات عدو¹.

المبحث الخامس: خصائص ومميزات المثل الشعبي

يمتاز المثل الشعبي كغيره من فنون الأدب الشعبي، بمجموعة من الخصائص والمميزات وهي تشترك في أكثرها مع عناصر الأدب الشعبي الأخرى وهذه الخصائص هي:

اللغة المستعملة في المثل، فبما أن المثل ذو طابع شعبي، فإن اللغة المعتمدة فيه هي لغة الحياة اليومية، المستعملة والسائدة بين الشعب بمختلف فئاته، ومن المعروف أن اللهجة العامية هي لغة البيت والشارع، والمجتمع ولغة الأمي والمتعلم، الغني والفقير أي هي لغة اللاحواجز.

المثل الشعبي مجهول المؤلف، وحتى وإن وجدنا نسبته فهي موضع شك، فالأدب الشعبي عموماً يتميز بالجماعية، والشيء نفسه ينطبق على المثل فصاحبه الأصلي هو فرد من عامة الناس، أطلق مثله ثم ذابت ذاتيته في جماعة مجتمعة، ليبقى مثله سائراً وصاحبه مجهولاً، وحتى وإن استطعنا التعرف على المرحلة الزمنية التي قبل فيها، أو عن المكان الذي أنتج فيها أول مرة حسب المضمون، كالأمثال التي أنتجت في الفترة الاستعمارية، فالذاكرة الشعبية لا تعطي الحق لمعرفة قائل المثل الشعبي، المثل الشعبي لا يخضع لعملية التدوين أثناء نشأته الأولى، إلا بعد أن يستكمل نموه على أيدي الناس.

¹ عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 11.

المثل الشعبي صادق في تعبيره فهو ينقل حالة الفرد والجماعة بصدق ودون خوف من قوة الرئيس أو الحاكم أو المسئول، ولا من نقد النقاد والدارسين، فالمثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم¹.

معظم الأمثال الشعبية نوعاً من الإيجاز، بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير، فهو مكون من أقل قدر من الألفاظ، وأكبر قدر من الدلالة² وتتميز بجودة المعنى والاختصار والتركيز، فهي أكثر ما تتسم من حيث مستواها بالإيقاع الخارجي التام أو الناقص، ولكن هذا الإيقاع ثابت في الحالتين، وثانيهما الاتصاف بالإيجاز والدقة³.

وقد استمدت هذه الميزة شكلها ومرونتها من اللهجة العامية لكونها منطوقة وبالتالي فهي لا تعتمد على قواعد الأعراب، وتضبط كلماتها فقط بالطريقة التي تتوافق مع شكل إيقاع المثل وظروفه الاجتماعية.

المثل الشعبي يمثل فلسفة الفرد والمجتمع في الحياة، فهو خلاصة تجارب الشعب، كما أنه يمثل المرأة لثقافة الأمة وانجازاتها ونظرتها إلى الحياة، فالأمثال تنقل لنا بصورة أمينة للحياة الاجتماعية للشعوب في فترات مختلفة، كاشفة النقاب عن مكونات الواقع الاجتماعي، فهي أصدق أداة للتعبير عن حالة الفرد والجماعة.

بما أن المثل الشعبي هو جزء من التراث الشعبي، لذا فهي تقتضي في سيرها وتداولها التنقل شفويا بين أفراد المجتمع، وهي تبدو في المقام الأول جزءاً لا يتجزأ من التراث الإنساني بوجه عام،

¹ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي. ص 174.

² بدر حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث. دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية. 2002. ص 32.

³ عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية. 1987. ص 100.

ولشعب بعينه بصفة خاصة، حيث تضم في طياتها الخبرة الطويلة، والتجربة العلمية الحسية، والحكمة الشعبية، وأدب السلوك، وكذلك الأمثال تنقل من شفاه إلى شفاه عبر أجيال متعددة¹.

فالرواية الشفوية تعد خاصية أو ميزة أساسية لانتقال المثل الشعبي، بل هو جزء من الرواية الشفوية عامة، معتمدا على اللغة المنطوقة، التي تعارف المجتمع على فهم رموزها ومدلولاتها، وتعد الذاكرة الناقل الأساسي لهذا الإبداع الشفوي، واللغة الشفوية تتميز بالمرونة والسهولة، ولا تعتمد على قواعد الإعراب وهي اللغة الأم التي يتعلمها الطفل، ويتلقاها من أسرته، ويتعامل بها في حياته اليومية.

الأمثال ذات طابع شعبي، متصلة بالحياة الاجتماعية، فهي تمتاز باللغة الشعبية لأنها نابعة من أوساطه، نمت من صميم البيئة، تبنها الشعب وحافظ عليها من عوامل الزوال والاندثار، لا تشير صفة الشعبي التي يتصف بها التراث إلى أنه نتاج الشعب كله وزاده، على اختلاف طبقاته، فئاته، وبيئاته، ومراحل التاريخ².

فالمثل الشعبي هو وليد التجربة الذاتية، من إنتاج، ثم من ناحية التجربة الفردية في الجماعة، لتصبح جماعية ومشاركة بين الناس، تمس واقعهم ومعاناتهم، أفراحهم وأحزانهم في إطار المجتمع الذي وافق عليها من خلال عملية التداول والتناقل.

يحمل المثل الشعبي في طياته وظائف مختلفة، أهمها الوظيفة التربوية التعليمية، فهو يتميز بالطابع التعليمي، حيث يقوم بعض الفكرة أو الموقف، ثم يترك المجال للغير مفتوحا، سواء بتقبل النصيحة أو التوجيه والعمل بهما، أو برفضهما.

تتميز الأمثال بالإيقاع، فمن العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال القديمة الموجزة تتماشى وتصد أمام الزمن، توفرها على مصادر إيقاعية تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء، وفي التقديم والتأخير، والتراكيب البلاغية والسجع والجناس، فالإيقاع إذا ما وجد في المثل عمل على

¹ أبو الفتح علي، التحليل المقارن للأمثال الشعبية في اللغتين العربية والروسية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1995. ص 1.

² سلام رفعت، بحثا عن التراث العربي. نظرية نقدية منهجية. دار الفرائي لبنان، ط1، 1989. ص 227.

إظهاره أكثر من الكلام العادي، والمتكلم عندما يعتمد على الأمثال في حديثه، فإن السامع يتفطن إلى التعابير المثلثة، وذلك لتغيير نبرة صوت المتكلم، وهذا لما تتسم به من خصائص بلاغية وإيقاعية وتركيبية، وانطلاقاً من كل هذا هناك تعريفا قدمه الأستاذ زایلر فريدريك في مقدمة كتابه علم الأمثال الألمانية يشمل خصائص المثل يقول بأنه: القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المعروفة¹.

إن خاصية الأساسية التي تكمن في المثل هي أنه قليل اللفظ كثير المعنى، خاصيته هي الإيجاز.²

يتبين من خلال هذه الخصائص أن المثل يأتي في مقدمة أشكال التعبير الأدبية المعروفة، لأنه يعبر عن الواقع الاجتماعي بكل تناقضاته وصراعاته، ويكشف الكثير عن العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفرادها، بل وتمتاز عن هذه الأشكال بخصائص دقيقة، إنه الصورة الواقعية والحية التي تكشف أحوال المجتمع وهذا الأخير هو من أعاد خلق وإثراء المثل والحفاظ عليه في أبسط صورته المعروفة، وهذا ما ضمن له الديمومة والاستمرارية.

المبحث السادس: قيمة المرأة في الإسلام

كثير من العرب لا يرحب بميلاد الأنثى، وذلك من الأمور الطبيعية في مجتمع قبلي لا تهدأ فيه الغارات ولا تسكن في خصوصية الثأر، وكان الرجل في بعض القبائل إذا ولدت له أنثى عراه الغم الشديد وأخذ يعالج الأمر في نفسه أيقظها على مضض ومهانة أم يتخلص من عبثها وعارها ويدفنها في التراب.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تحكي ما كان لولادة البنات من كراهية، وتندد بالكفار على نسبهم البنات إلى الله سبحانه بينما المفضل عندهم البنون، ويكون المعقول أن يكون لله ما هو

¹ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي الشعبي. مرجع سابق. ص 175.

² ينظر قادة بوتان، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمان حاج صالح. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2. 1987. ص 5.

المفضل وتذكر وأدهم للبنات¹، يقول تعالى: >> ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون<<².

يقول الرازي (ت 606هـ) في تفسيره الآية أما قوله: >> ظل وجهه مسودًا<< فالمعنى أنه يصير متغيرا تغير مغتم، ويقال لمن لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا وأقول إنما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم، وذلك لأن الإنسان إذا قوى فرحه انشرح صدره، وانبسط روح قلبه من داخل القلب ووصل إلى الأطراف ولا سيما إلى الوجه وتلألأ واستنار، وأما إذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في باطن القلب، ولم يبقى منه أثر قوي في ظاهر الوجه فلا جرم يريد الوجه، ويصفّر ويسود ويظهر فيه أثر الأرضية والكثافة فثبت أن من لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه، وغبرته وسواده....

ولهذا المعنى قال: >> ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم << أي ممتلئ غما وحزنا<<³.

ويمكن أن نحصر أسباب الوأد في النقاط الآتية:

- أ- " الفقر": حيث أنهم كانوا يعتبرون البنت عالة على الأسرة تحتاج لمن ينفق عليها.
- ب- خوفا العار والفضيحة فيما لو شذت البنت في سلوكها وخرجت على عادة الأسرة وتقاليدها.
- ج- احتمال تعرض القبيلة للغزو والنهب وسيء النساء، على عكس الولد الذي يمكن أن يتعلم فنون القتال أو الدفاع عن أهله وقبيلته.

ويصف أحد الشعراء العرب دوافع الوأد بقوله:

وزاد في رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذو الرحم

¹ سعاد إبراهيم صالح، أحكام عبادات المرأة في الشريعة الإسلامية، دراسات فقهية مقارنة، دار الضياء، القاهرة، ط3، 1414هـ، 1993م، ص 53.

² سورة النحل، الآيات 57، 58، 59.

³ الرازي، التفسير الكبير، دار التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج 20، ص 45.

أخشى حياتي وأهوى موتها شفقا وكنت أبكي عليها من أذى الكلم

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم

إذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم

في البيت الأخير يصف الشاعر مدى قسوته ومقاومته لعاطفة الأبوة، وهو ينقد جريمته، بينما ابتته تتوسل إليه إن يخلصها فلا يرحم ضعفها ولا دموعها، فأصبح الآن يكيها بعبارات من دم، ثم يصف حالته بعد وأدها بقوله:

فالآن نمت فلا هم يؤرقني بعد الهدوء بلا وجد ولا حلم

فيقول أنه بدفنها هدأ باله، وزال ما يعكر صفوة عيشة.¹

وشهدت المرأة العربية تسلطا من قبل الرجال فيما ذلك كما ذكرنا إلى الوأد أما بعد مجيء الإسلام فقد تعززت مكانة المرأة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي أنزل المرأة منزلا حسنا².

وإذا تأملنا في عصر صدر الإسلام لوحدنا أن للمرأة وضعاً متميزاً إلى جوار الرجل سواء في قبول الدعوة الإسلامية وتأبيدها، أو في رفض الدعوة ومقاومتها، فقد دخل في الإسلام عدد غير قليل من النساء، وهاجر إلى الحبشة أحد عشر رجلاً، وأربع نساء، وقد شاركت المرأة في الغزوات في عهد الرسول وفي الفتوح الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين بما يناسب طبيعتها، واستوطنت مع الرجال من الجيش العربي في فارس والشام.

وقد جعل الإسلام للمرأة حق الكسب وذلك في قوله تعالى: >> للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن<<³.

¹ سعيد هاشم، دور المرأة الرسالية في دولة النبوة، مؤسسة الفجر، لندن، ط1، 1417هـ، 1996م، ص 14، 16.

² صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، 2009، ص 22.

³ سورة النساء الآية 32.

وتتساوى المرأة والرجل في حقوقهما عند الله، يقول تعالى: >> فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض<<¹.

وجعل الله الزواج قائما على حسن المعاشرة والمودة والرحمة، يقول تعالى: >> ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون<<².

وقد جعل القرآن بين الرجل والمرأة الصفات وفي الحساب في مواضع كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: >> إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والصادقين والصادقات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما<<³.

وقد تحدث القرآن عن نماذج من النساء منهن الصالحات ومنهن الكافرات والفاسقات يقول تعالى:

>> ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين فخانتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربي ابني لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين<<⁴ ولا شك أن ذلك قد ترك أثرا مباشرا وغير مباشر على وعي البشرية بقوة وجودها وأهميتها.

¹ سورة آل عمران. الآية 195.

² سورة الروم. الآية 21.

³ سورة الأحزاب. الآية. 35.

⁴ سورة التحريم. الآيات 1. 11.

>> ويبدو أن حضور المرأة في العالم ليس حضورا عابرا فالمرأة رمز الخصوبة والعطاء والبقاء، وقد يتصل هذا برغبة عميقة في التعرف على نفسها واثبات وجودها من خلال الآخر أو بالآخر نفسه¹.

فالنصوص القديمة الفقهية فيما حطت من قيمة النساء والتمست أحاديث تجربها على القيد، وتخط من قيمتها في مقابل منح السيادة للرجل الذي سمح له بتكون الحريم.

>> وقد أضرت فكرة الجواري كثيرا بقيمة المرأة حيث كانت متيقنة بأن المحل الأول في قلب زوجها ليس لها بل للجارية التي اختارها الزوج لأنها جميلة وهذا ما جعل المرأة تخضع للخضوع التام للزوج وتعمل على طاعته وبما أن الرجل يحتقر جاريته فإن هذا الاحتقار ينتقل بالمحاكاة السيكولوجية إلى الزوجة الحرة ثم يعم الشعب كله احتقار المرأة، وقد دعمت النصوص الفقهية النظرة الاستبدادية ضد المرأة هذا في القديم أما حديثا فإن الطائفة التي تبنت الدين الإسلامي كحل لقضايا المجتمع وهي ما يعرف بالأصولية².

وبهذا فإن المرأة تبقى عندنا مخلوق قاصر رغم ثقافة والتعليم والمسؤولية، لا شيء إلا لكونها امرأة فصفة الأنوثة تشكل قيد للمرأة.

¹ ينظر عبد الجليل يوسف حني، المرأة عند الشراء صدر الإسلام. ط 1. 1418هـ، الدار الثقافة للنشر، 1998م، ص 16.

² صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 22، 23.

الفصل الثاني: الصورة الحسية

المبحث الأول: البيت والأسرة

المبحث الثاني: اللباس عند المرأة السوفية

المبحث الثالث: الحلي وأدوات الزينة عند المرأة

السوفية

المرأة في الحقيقة ليست نصف المجتمع فحسب بل هي أيضا والدة ومربية للمجتمع بأسره في مدرسته الأولى على الأقل التي تطبعه إلى حد بعيد في بقية مراحل حياته، من هنا تأتي أهمية وضرة العناية بالمرأة، بل وإعطائها الأولوية في ذلك على الرجل فالمرأة على هذا الأساس هي عماد المجتمع فإذا ما وقعت العناية الفائقة، استقام المجتمع كله وصلح حاله، أما من أهملها وحط من قيمتها وإنسانيتها وتجاهل وجودها كعضو فاعل في المجتمع له قيمته المركزية فقد هدم المجتمع أو على الأقل فقد أضر بالمجتمع ضررا بليغا¹.

فستتطرق إلى صورة المرأة التي يعكسها المجتمع السوفي ونظرتة إلى المرأة من معظم أصنافها، فالمرأة هي نصف المجتمع عدديا وهي من ناحية أخرى عماد أساسي ومدرسته ومربيته الأولى، لذلك فإن العناية بالمرأة عناية جادة، وإنزالها في المجتمع منزلتها التي تستحقها كأم ومربية له، وعضو فاعل فيه، مثلها في ذلك مثل الرجل وإيلاؤها الاعتبار الكامل والمساواة بينها وبين الرجل من حيث أنهما يشتركان في قيمة الإنسانية، من شأنه أن يحقق معنى العدل والندية بينها وبين الرجل، كما هو من شأنه أن يمكن الجسم الاجتماعي من النهوض بكل أعضائه وقواه وليس بنصفها فقط، لأن نصفها الثاني، المتمثل في المرأة مشلول ومعتّل.

سنتطرق في هذا الفصل إلى عكس النظرة الاجتماعية العامة للمجتمع السوفي على المرأة السوفية بأصناف عديدة التي سنتطرق إليها وهي صورة المرأة من الناحية الحسية من ناحية اللباس والزينة والحلي ودور المرأة في البيت والأسرة التي تكون المرأة مركز الثقل فيها، ونتطرق إلى الصورة المعنوية التي ندرس فيها مكانة المرأة من الناحية الاجتماعية وأصناف المرأة ندرسها من صورها كأم وكبنت، والسلفة (زوجة أخ الزوج) والضرّة (زوجة الأب) والعروس والكنة (زوجة الابن) والمرأة المطلقة والمرأة العجوز.

¹ نعمان عبد الغني، مقال بعنوان مكانة المرأة الإسلام في المجتمع، 10-03-2006. مقال إلكتروني.

المبحث الأول: البيت والأسرة

>> نظام الأسرة في مجتمع الوادي كباقي المجتمعات العربية " الأب " والذي يقود العائلة ويرعى شؤونها وهو الرئيس الذي يتحكم في كل الأمور داخل الأسرة فيحتفظ بمفتاح " دار الخزين " التي تحتوي على كل مئونة العائلة فيرشد الإنفاق بنفسه ولا يجوز لأحد من العائلة أن ينصرف بحرية في أحد الأمور الهامة إلا بعد إذنه¹ << يخلفه عند غيابه أو موته أكبر أبنائه، أما العمة (أم الزوج) فيخضع لسلطانها السلفات (زوجات الأبناء)

نمط المعيشة في سوف:

القناعة شعار يتخذه السوفي في كل شيء، لذلك يقال " بالقناعة تعيش ملك"²، وبهذا الشعار تميز المجتمع السوفي بالبساطة في نمط معيشة من أكل ولباس خاصة، حيث يقولون " ألبس ما يستر وكولم احضر"³ وهذا أيضا ما أملت عليه ظروف منطقتهم الطبيعية.

الغذاء: يعتمد السوافة في غذائهم على الموارد الأساسية الموجودة في منطقتهم وبهذا الحكم فهو يتميز بالبساطة وقد عبرت لنا أمثالهم عن أهم أغذيتهم. " تمرة وحلبية ودشيشة تبريدة"⁴ يقال هذا المثل في فصل الخريف أي فصل جني التمور، وهو يدل على بساطة عيش المجتمع السوفي، فبالإضافة إلى التمر والحليب اللذان يعدان أساسيين لديه هناك أغذية أخرى من بينها " الدشيشة " وهي غذاء مشهور في الوسط السوفي قديما، تتميز بالبساطة في مكوناتها والسهولة في مأكلاها لذلك يضرب بها المثل في

¹ علي، غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 19. ص 11.

² محمد الصالح، بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 41.

³ المرجع نفسه، ص 36.

⁴ المرجع نفسه، ص 48.

اغتنام الفرص يقال "جعان وطاح في دشيثة"¹ كما أن المثل السوفي يعبر على أنها وجبة خفيفة ولا يعتمد عليها وحدها في الغذاء.

<< إذا كانت الأم حوت وليا وزف يجي الولد أخ تف >>² وزف نوع من السمك صغير الحجم، فإذا كانت الأم هي المسيطر والأب ضعيف ضعف الوزف فلا ننظر منهما الولد الصالح المطيع في البيت وفي المجتمع كله.

<< أربع نساء والقربة يابسة >>³ ففي هذا المثل يلاحظ ونستنتج أن السوافة يجمعون بين زوجات الإخوة في المنزل الواحد كما يعرف بـ (السلفات) كما أنهم ينددون بعدم تفاهمهن وتقصيرهن في آداء واجباتهن، وضربوا لذلك مثلاً وهو عدم ملء القربة بالماء التي يجب أن تكون دائماً مملوءة بالماء لوقت الحاجة ويقال في هذا << الكثرة والربا >> أي البيت فيه من يخدمه ولا أحد يعمل عمل متقن ويفيد أصحاب البيت.

تقول الحاجة في هذا الصدد بنفس المعنى << النساء ياسر والقربة يابسة >>⁴

<< أربعة وأمهم واش يلهم >>⁵ أي في البيت والأسرة أربع بنات وأمهم الخامسة من يجمعهم ويقوم بشؤونهم.

<< أستنى ضناك وإلا غناك >>⁶ ضناك يعني الولد أو البنت أي ما هو من صلب الرجل ورحم المرأة وبالفعل من الأولاد ما يغني منهم ومنهم ما يفقر أي يكون وجهه وجه خير أو العكس تماماً.

¹ محمد الصالح، بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، ص 52.

² المرجع نفسه، ص 31.

³ المرجع نفسه، ص 32.

⁴ الحاجة زينة شراحي 72 ، أم 09 أبناء القاطنة بحي 5 جويلية الرقيبة الوادي. سنة لقاء يوم 08 أوت 2015 على الساعة 18،38 مساءً.

⁵ محمد الصالح، بن علي. المرجع السابق، ص 32.

⁶ المرجع نفسه، ص 33.

>> بيات ولا العقم، ومعيزات ولا الفقر << أي أن الإنسان يتمنى لعمارة بيته بنيات يعمرن عليه البيت ولا العقر، أي المرأة العاقر لا تنجب أبناء ومعيزات ولا الفقر، أي تجنب الفقر ويغني نفسه حتى بتربية الماعز يقي بها شر الفقر وتدخل عليه الرزق.

حيث تقول الشاعرة مريم عماري:

>> ني جبت أربع بنته وين خلاص راسي استحمدته

وحتى بنيات فيهن البركة وراني في دولة ونهاية

لا نشحلط لا نتبكي ولانسوة تتشكى <<¹

>> بيت الشر تخلي تخلي <<² أي أن البيت الذي يقوم على مبادئ خاطئة وأفراد الأسرة يتصرفون بأخلاق شرانية، ويعني أن للمرأة دورا هاما فإنها تكون سبب في سعادة بيتها أو في شقاءه أما بفضائلها ومساوئها وإما أن تحمل معها سعدا أو نحسا وهذا يدل على حسن سلوك وخصال المرأة ومراعاة بيتها الزوجية والأسرية.

>> تطيب خامسة وشحمة فرانس، البرمة حديد والعافية جريد <<³ هذا المثل فيما حدث للفتاة اسمها خامسة حيث قامت بتحضيرها الفتاة التي لا تحسن الطبخ وشحمة فرنسا السيئة والقدر أسوأ ثم نار القش ما يعرف عند السوافة (جريد).

>> تفكري يا مرا من تسالي <<⁴ مرا تعني المرأة وتسالي أي لك دين عنده.

¹ بشير غريب، النقد الاجتماعي في الشعر الشفاهي عند الأمهات الشاعرة مريم عماري أنموذجا ، مجلة القباب الأدبي، صادرة عن دار الثقافة لولاية الوادي، العدد 7، مارس 2015، ص 13.

² محمد الصالح، بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 14.

³ المرجع نفسه، ص 47.

⁴ المرجع نفسه، ص 48.

>> تلقى الخبر عند المحجوبات>>¹ أي الأخبار عند العاكفات بالبيت أي أن المرأة داخل بيتها وهي دائما منشغلة بالأخبار والأحاديث وفلانة ذهبت وفلانة تزوجت، فلانة طلقت همها الوحيد التقاط الأخبار والأحداث التي تجري من حولها، بدلا من ترتيب بيتها والقيام بشؤون عائلتها وزوجها وفي نفس معنى هذا المثل نجد >> جت من الحمام جابت أخبار عام>>² كذلك يقال هذا المثل لتنديد بأشغال النساء بالقليل والقال، والكلام في الناس والمعروف عنهن اجتماعهن في الحمام ليتكلمن في أعراض الناس بالغيبة والنميمة.

>> جيب بنت الأصل والناس يجي ولدك مرفوع الرأس>>³ أي الحث على الزواج من امرأة صالحة ذات أخلاق طيبة ورفيعة لتبني أسرة متوازنة ومتماسكة وإنجاب أبناء يرفع بهم الرأس وأبناء تكون صالحة في المجتمع، فإن التربية والتوعية والتخلق بأخلاق كريمة وعالية هذا كله داخل البناء الأسري المحيط العائلي.

>> الحديث والمغزل>>⁴ الحديث لا يمنع من العمل فيمكن للمرأة أن تتحدث والمغزل⁵ يدور يدها. كما يقال: " الغزالة تغزل على العود"⁶ فإن المرأة الماهرة في الغزل لا تحتاج إلى عود.

>> الحرة تصبر وليبيتها تعمر>>⁷ المرأة الحرة تصبر وتحافظ على بيتها وأسرتها فالصبر من أخلاق المرأة الرفيعة تصبر على المشاق، على المتاعب على المشاكل وما إلى ذلك من الحياة الزوجية، وتصبر لمشقة تربية الأبناء بذلك تحصد عائلة متينة تربطها قوى التكافل الأسري يقال: " البيوت حراير

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 48.

² المرجع نفسه. ص 52.

³ المرجع نفسه. ص 52.

⁴ المرجع نفسه. ص 52.

⁵ المغزل، جهاز للغزل يتألف من مغزل ومردن، الحاجة زينة شراحي، لقاء يوم 8 أوت 2015 الساعة 18،30 مساءً.

⁶ قادة بوتارن. الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 142.

⁷ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 54.

ماهيش غراير" ويقال أيضا: "العولة"¹ حراير ماهيش غراير" وأيضا " الحرائر صلاح البيت والإيماء فساد البيت"².

<< محومة وكالة ذواقتهها>>³ أي أن المرأة التي تأكل ما تتكرم به للجيران قبل وصوله، فمن عادة السوافة الكرم والجود فدائما تتكافل الناس وتتواصل بينهم روابط المحبة والتآزر وإكرام الضيوف وتبادل الجيران المآسي والمسرات فكثير من النسوة عند طهيها لطعام تحبه جارتها أو أحد أفراد أسرته أو تنويه كصدقة جارية.

<< حمه بمراته>>⁴ أي أن حمه (تعني اسم محمد) عنده امرأة بغض النظر عن خصاها ويلتقي مع المثل: " واحد متزوج وواحد عنده مرا"⁵.

<< الخير مرا والشر مرا>>⁶ يقال المرأة الصالحة هي خير كلها لزوجها. وفي المرأة الصالحة هي شر كلها لزوجها ماديا وأخلاقيا والمرأة في الدارحة السوفية تنطق مرا بفتح الميم وفتح الراء وعدم نطق الألفين. فللمرأة دورا هاما فإنها قد تكون سببا في سعادة بيتها أو في شقائه أما بفضائلها ومساوئها لأنها تحمل معها إيجابا وخيرا أو سلبيا وشرًا وهذا يدل على اهتمام السوافة الكبير باختيار الأزواج.

¹ العولة، هي ما يعد من مواد معيشية لفترة من الزمن غالبا ما تكون سنة لأن سكان الأرياف والمداشر عامة يعدون (العولة) السنة أي ما يكفي لمعيشة أفراد الأسرة سنة كاملة. الحاجة زينة شراحي، اللقاء السابق.

² عبد الحميد بن هدوقة. الأمثال الجزائرية. ص 50

³ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 58.

⁴ المرجع نفسه. ص 59.

⁵ الحاجة جبارية حومدي، تبلغ من العمر 66 سنة، أم 08 أبناء، حي الأمل الرقيبة. الوادي لقاء يوم 11 أوت 2015 على الساعة 10،00 صباحا.

⁶ محمد الصالح بن علي. المرجع السابق. ص 61.

>> خض خض خيرك ما فيه حد... مرا تضرب في راجلها<>¹ قصة امرأة كانت كل صباح تأمر زوجها لخض شكوة الحليب وكان مطيعا لها خوفا منها، وفي أحد المرات بينما كان يقوم بعمله ومهمته سمع ضجيجا وشجارا عند أحد الجيران، فسأل زوجته ما هذا الشجار والضجيج؟ فقالت: خض خض فأنت محظوظ في خير عميم إنها امرأة تضرب زوجها، والحقيقة أن الرجل كان يضرب زوجته<>² فمن تعاليم الدين الإسلامي النهي عن ضرب الزوجة فهذا السلوك منبوذ تماما في أخلاقنا.

يقال:>> أضرب مراتك ديما إذا أنت ما تعرفش، هي تعرف علاش<>³ فهذا المثل فيه نوع من عدم الثقة مهما كان ورعها وتظاهرها بالطيبة والحياء والأخلاق الفاضلة وهو مثل سيء أساء بالمرأة إساءة بالغة فليست كل النساء فاجرات كما أن ليس كل النساء طاهرات، يقول المثل التونسي:>> النساء مادواهم كان العصا<>⁴.

>> الزرس المعلولة دواها الكلاب والمرأ النطيلة دواها الطلاق<>⁵ الزرس: أصلها الضرس، المعلولة الكلاب: الكماشة، المرأ: المرأة النطيلة، الثقيلة والمتهاونة، أي المرأة التي تتهاون وتتكاثر عن أشغال بيتها وأسرقتها إهمال واجباتها وشؤونها المنزلية فدوائها الطلاق. فهو مثل يهون من شأن الطلاق لأي سبب خلافا للحكم الإسلامي المعروف حيث يعد الطلاق أبغض الحلال إلى الله ولا سيما على الأولاد. ويقال أيضا:>> النطل وطول اللسان<>⁶ أي الكسل والتهاون وطول اللسان، فهي مهينة لبيتها وتعرف الكلام الزائد وإرجاع الحديث لمن حاورها أو طلب منها فعل شيء.

يقول الشاعر عبد الرحمان المجذوب:

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 62.

² الحاجة طويل هنية، تبلغ من العمر 73، أم 06 أبناء، لقاء يوم 14 أوت 2015، على الساعة 9،00 صباحا.

³ عبد الحميد بن هدوقة. أمثال جزائرية. ص 115.

⁴ علي، أفرار، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلمي. دار الطليعة، بيروت، 1996. ص 60.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 75.

⁶ الحاجة طويل هنية، اللقاء السابق.

>> نوصيك يا حارث القديم بالك من دخانها لا يعميك

ولا تدي المرا المعفونة تتعاون هي والزمان عليك<<¹

المرا المعفونة يعني المرأة التي تعرف النظافة ولا يظهر عليها حتى ملامح النظافة خمولة كسولة متهاونة في كل شيء فيخاف الناس حتى من أكلها يقال أيضا: >> اللي دارته المعفونة يأكلوه أولادها<<² فهذه المرأة لا تحسن شيئا آخر يعني تعرف نوع واحد من الأكل ولتأسف المتأسفون يؤخذ أو يترك.

>> الضنوة صغر<<³ أي أن خير وقت لإنجاب الأطفال في الصغر.

>> الزواج ليلة و التدبير عام<<⁴ صحيح أن الزواج في ليلة يكون لكن يجب التفكير فيه طويلا قبل ذلك، يقال في هذا الصدد: >> في الزواج التدبير سنة والقطع ساعة<<⁵ فيقال هذا المثل في عدم التسرع في الزواج والتثبت من صلاحية المرأة والتفكير جيدا فيما يترتب عن الحياة الزوجية من مسؤوليات فالمراد بتدبير عام هو التأني والتفكير الجيد لا للمدة. فسيكون هذا التدبير والثاني سيكون هو الركيزة في الحياة ولبناء بيت أسري متوازن يقوم على بنى متينة لأن المرأة الصالحة الأكيد أنها ستكون أم صالحة.

>> ضربها راجلها ولت على سلفها<<⁶ السلف هو أخو الزوج أي أنها لما حدث مشكل

بين الزوج والزوجة، فإن الزوجة أفرغت غضبها على أخو زوجها، (هذا في حالة غضب).

¹ توفيق وامان، من الرباعية المنسوبة إلى الشاعر المغربي الشيخ عبد الرحمان المجذوب. ص 85.

² قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 143.

³ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 89.

⁴ المرجع السابق. ص 75.

⁵ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 156.

⁶ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 90.

<< عز النساء يخلي الديار >>¹ يعني هذا المثل والمقصود منه المبالغة في عز النساء يقال أيضا: << ولف النساء يخلي الديار >>².

<< الغربي ييات ويعشي البنات >>³ فالغربي يعني الريح الغربية والريح الغربية في وادي سوف تتوقف في أغلب الأحيان بعد العصر بحيث تسمح للبنات بإشعال النار وتحضير وجبة العشاء، وهو ريح لا يستحسنه أهل سوف، فإذا جاء صيفا حارا، وإذا جاء شتاء جاء باردا.

<< كي المرا النطيلة لا تغيث روحها ولا تغيث الناس >>⁴ أي المرأة المتهاونة لا تقي وتنقض نفسها ولا تنقض عائلتها وكذلك الناس عند طلب المساعدة منها فهي أكيد لن تقضي حاجتهم على أحسن وأكمل وجه.

<< إلي تغبن، تغبن في عشاها >>⁵ عشاها أي عشائه، والمعنى هنا هو الحياة الزوجية الذي رزقه الله بمرأة متهاونة ونطيله لا تهتم بأموره وأمور الحياة الأسرية فهو مغبون.

<< لا عرفت لا تسف لا تزمت >>⁶ أي المرأة التي حارت فيما طحنت تسفه؟ أي تبتلعه دقيقا جافا أم تجعله (زميتة)؟⁷.

<< خيار المراتني وتوني >>⁸ أي أن أحسن النساء من تجعل زوجها يعيش عيشة هنية،

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. 98.

² قادة بوتارن. المرجع السابق. ص 103.

³ محمد الصالح بن علي. المرجع السابق. ص 158.

⁴ المرجع نفسه. ص 126.

⁵ المرجع نفسه. ص 133.

⁶ المرجع نفسه. ص 148.

⁷ الزميتة، هي أكلة يدخل في تركيبها طحين القمح وبعض التوابل والمنكهات، الحاجة جبارية حومدي، لقاء يوم 11 أوت على الساعة العاشرة صباحا.

⁸ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 64.

وتوني أي تنظر لبناء المستقبل أي أنها طموحة. ويقال: "الرجل ساقية والمرأ جابية"¹ أي المرأة المقتصدة تغني زوجها من القليل ويقال في المرأة المبذرة تفقر زوجها من الكثير الذي يأتي به إلى البيت، فالجابية إذا كانت محكمة لا ثقبوب فيها تجمع فيها الماء القليل فصار كثيرا، أما إذا كانت مثلومة لا يجتمع فيها لا القليل ولا الكثير. والتمثيل بالجابية والساقية ينطبق تماما على الحياة الزراعية.

>> قداش من مطلقة ساس أعمار، وقداش من خارية مولاة عشة<<² أي ممكن أن تكون المطلقة عمارة البيت وممكن أن تكون خارية أي مبذرة صاحبة بيت.

يقال: >> كل ساية عاية<<³ فيإهمال الأشياء إذا تركت ستتلف فإن هذا المثل يذكر به قائله بما لكل واحد من المسؤوليات وما عليه من الواجبات نحو البيت والأسرة وما تبعه من أشغال البيت، ويقال أيضا: "إلي خليته ما لقيته وإلي أديته ما رديته"⁴ فهو يندد بتبذير المرأة وإسرافها في أمور وملازم معيشتهم العائلية فباستهلاك كل ما يقع تحت يدها بدلا من أن تدخر ما يجب ادخاره وحسن التصرف في تعيش رغيد وإبقاء ما يلزم لاستثماره في أشياء تنفعه.

>> هو يطلب والمرأ تصدق<<⁵ هو يطلب أي يتسول والمرأة تتصدق أي أن هذا الرجل لا يملك قوت يومه ولا يعمل ولا يوجد عنده حرفة تغنيه حر الصيف وبرد الشتاء فحلله الوحيد التسول لجلب أكل أولاده فهنا الذي يتسوله الرجل تتصدق به المرأة. يقال: "أنا نخشش بالقفة وهي تخرج بالزنبيل"⁶ يقال في المرأة المبذرة فوق الحدود، فزوجها لا يحصل على القليل إلا بمشقة كبيرة وجهد عسير وهي تنفق بغير حساب.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 87.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 64.

³ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 167.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. 112.

⁵ المرجع نفسه. ص 179.

⁶ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 35.

>> واحد واخذ لثته وواحد واخذ علقته>>¹ لثته هنا نقصد بها المرأة الحرة والسيدة الفاضلة، فمن الرجال من يتزوج سيدته ومنهم من يتزوج علقته.

>> جبت مرا يأكل منها الزمان ويخلي>>² أي أن هذا المثل يضرب للزواج من امرأة تكون ربة بيت بكل معنى الكلمة بالصبر وعمارة البيت، فتحسن التصرف بمواد معيشتها والادخار وتنظيم الاستهلاك فمهما أكل منها الزمن ومرّ عليها فسيأكل منها ويقتي بالخير العظيم الذي تحسن التكلف به.

>> مللي ماتت المرحومة ما كليناش الخبزة المرقومة>>³ قصة هذا المثل أنه يوجد أحد كانت زوجته كثيرة الخروج إلى الجيران فقد كانت تعجن العجين وتخبز الخبز وتتركه ليتخمر في العراء وتخرج إلى الجيران، فيأتي الحمام بعدها وينقر الخبر، وبعد طهيها يأتي الزوج ويأكل ذلك الخبز معتقد أن زوجته تتفنن في زخرفته ونقشه ومرت الأيام وتوفيت هذه الزوجة، وتزوج امرأة أخرى شديدة الحرص على ما تحضر من أكل ولم يعد يأكل الخبز المرقوم من طرف الحمام فقال هذا المثل⁴.

>> مولاة الدقيق تطلب الخميرة، ومولاة المنسج تطلب النيرة>>⁵ أي أن المرأة التي تعجن الدقيق للطهي تطلب الخميرة لتتخمر عجنتها ويأتي خبز جيد لغذاء العائلة. ومولاة المنسج التي تنسج تطلب النيرة التي تساعد المنسج على تداخل وعلى تشابك خيوطه لنسج زربية أو ما إلى ذلك من عمل المنسج. فالمرأة السوفية تغني نفسها عن شراء لوازم المنزل فبيدها تصنع ما تصنع من نسيج زرابي وبرانيس وأفرشة...

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 180.

² المرجع نفسه. ص 53.

³ المرجع نفسه. ص 168.

⁴ الحاجة طويل هنية لقاء يوم 16 أوت على الساعة 10،00 صباحا.

⁵ النيرة، وهو الخيط الملفوف على الذراع الأوسط للمنسج وبدونه لا يتم تداخل الخيوط ليتم النسج، نفس الحاجة نفس اللقاء.

⁶ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 171.

>> النساء نساء والي اتبع راي النساء نساء<<¹ أي أن النسوة تبقى نسوة والذي يأخذ برأي النساء نساء أي نسي كل شيء ولم يتفكر أي شيء، كما يقولون: "المرأ شاورها وخالف عليها"² أي لا تأخذ برأيها أي عدم الأخذ برأي المرأة. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستوصي بالنساء حيث يقول: >> استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإذا ذهب تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا<<³ رواه البخاري.

نستنتج بأن الأسرة السوفية أسرة متماسكة ببعضها جدا لأن عند زواج الأبناء يبنى كل منهم أسرته لكن يبقى الجميع يظلهم سقف المنزل الواحد، فتتضخم العائلة ويعيشون في وضعية صعبة جدا، يتناولون غذائهم بصفة جماعية ويستعملون أغراض البيت وكل مكان فيه بشكل جماعي وكل أسرة داخل البيت الكبير تملك حجرة واحدة يأوي إليها الرجل وزوجته وأبناءه، أما النفقة فيتحملها أب العائلة وليس لأبنائه المتزوجين ادخار خاص بهم، ولا يملكون حرية التصرف في الأموال التي يوفرونها من أعمالهم لأن الأب هو المسئول الوحيد والأساسي للمالية وتبقى العائلة متماسكة مدة طويلة ولا تنفصم وحدتها إلا بعد وفاة الأب " رب العائلة" أو عجزه حينئذ يعطي الإذن بالانتقال إلى منازل تقام بمساعدته في اغلب الأحيان يكونوا أسرته التي تكون نواة عائلة جديدة بعد مدة زمنية محددة.

والأسرة السوفية اليوم تغيرت وحدث فيها تطور كبير في العائلة السوفية التي بدأت تعيش الاستقلالية فبمجرد زواج الابن يمكث مدة في بيت والده ثم ينتقل إلى بيت خاص به بصفة اختيارية أو اضطرارية، وبعد أن كان الأمر والرأي كله لرب العائلة (السيطرة الأبوية) بدأت المرأة تشارك الرجل

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 173.

² المرجع نفسه. ص 173.

³ الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تقديم أحمد محمد شاكر، باب الوصاة بالنساء 5185، ط1، دار التقوى للطباعة والنشر، خلف الجامع الأزهر، 2012، ص 660.

في حياته الاجتماعية وصار لها دور في توجيه الأسرة وإدارتها، كما أصبح الأبناء كلهم يشاركون بكل حرية في النقاش الداخلي.

فبالرغم من هذا التطور فقد برزت بعض الأخلاقيات والعادات السيئة الدخيلة على المجتمع السوفي وأسرته المحافظة مثل: ضعف الحياء، الاختلاط، التبرج، عقوق الوالدين، الانحراف الأخلاقي، الآفات الاجتماعية، ظاهرة الانتحار، المخدرات.

وبعد تطور الحياة وتكاليها ومشاكلها التربوية وجدت الأسرة السوفية نفسها مضطرة إلى اتخاذ إجراءات مثل تنظيم النسل وتباعد الولادات، واضطرار كثير من أرباب الأسرة إلى البحث عن عمل إضافي لتوفير احتياجات أسرهم المتجددة والمكلفة، خاصة وأن أغلبهم يضطرون إلى بناء بيوتهم بمجهودهم الخاص في غياب المساعدات الخارجية، مما يدفعهم للتقسيط وترشيد الإستهلاك وربما الاستدانة.

المبحث الثاني: اللباس عند المرأة السوفية

المرأة السوفية ومنذ القدم عرفت بلباسها المحتشم الذي يخفي مفاتها ولا يظهر منها إلا الوجه والكفين والقدمين، فما أن تبلغ الفتاة سن الرشد حتى ترتدي اللباس السوفي الأصيل " الحولي " اللباس التقليدي المتميز عند المرأة السوفية والبخنوق والقندورة وتشابه الحوالي عند كل النساء عدا الاختلاف في الألوان الذي يميز منطقة دون غيرها، وأهم ملبوسات المرأة السوفية.

>> الحولي: هو كساء واسع لونه أسود ينتهي بسفيفتين تحيطان كامل الكساء أحدهما وردية والأخرى صفراء<<¹ وكذلك فهو لباس خارجي يكون ضيق من الوسط، ثم يبدأ في التوسع نحو الأسفل، وطريقة خياطته بهذا الشكل يساعد على التهوية لطبيعة المناخ الساخن، وحتى يعطي

¹ عروس البوادي، الوادي، مجلة ثقافية تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى والأغنية السوفية، العدد الأول، 2008، ص 29.

نوعاً من الجاذبية يعلم عند حوافه بأشرطة كما قلنا (سفافيف) ملونة الأحمر، الأصفر، الوردى¹ ويتخذ الحولي ألواناً متعددة أشهرها الأسود والأزرق والأحمر، أما اللون الأبيض فإنه مخصص للأفراح، تلبسه العروس في ليلة زفافها كتعبير عن الفرح والسعادة، فالحولي يعد مظهراً جمالياً للمرأة السوفية تتباهى بلباسه النساء.

الحولي لباس داخل البيت فإن أرادت المرأة أن تخرج تضع فوقه اللحاف وللحولي أنواع نذكر منها: حولي الحوكة، حولي الحرير، الحولي الأحمر، حولي الحسنية، حولي القطنية الحولي مجلوي (جلواي)².

الملحفة: الملاءة التي تلتحق بها المرأة³ فهي تساوي كلمة الجلباب ثوب واسع يسبل إلى الكعبين، مصنوع من أنسجة حريرية أو صوفية ذو ألوان متعددة.

والقدوارة: ثوب يتميز بنوع القماش ذو ألوان عدة تصل تقريباً إلى القدمين، تكون ذراعيها فضفاضة وعريضة تلبس تحت الحولي وتخط من الكتان⁴.

البخناق: هو خرقة تتقنع بها المرأة فتشد طرفيها تحت حنكها، ويقال تبخنقت المرأة تقنعت بالبخنق وعرفه صاحب كتاب العين أنه برقع يغشي العنق والصدر، والبرنس الصغير يسمى بخنقا⁵ ويعتبر هذا النوع من اللباس عند المرأة السوفية بمثابة البرنس عند الرجل، تلتحف به المرأة عند خروجها من البيت، شكله مستطيل يتراوح طوله ما بين 5 إلى 6 وعرضه 4,5 ذراع، ينسج هذا الرداء من الصوف ثم يصيغ من قبل النساء، وتنوعت ألوانه بين الأسود والبني والأبيض، الأصفر ويتم تزيينه بخيوط ملونه تتدلى على أطرافه.

¹ محمد بن عمارة، العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية. وادي سوف. أنموذجاً. منشورات مكتبة اقرأ. قسنطينة. 2010. ص 111.

² حوله عمارة، كريمة عازب عبد الله، اللباس في المجتمع السوفي خلال الفترة 1854-1962م. بحث مخطوط، لدينا نسخة منه. ص 19.

³ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جبهة اللغة. ج2. تح. رمز منير البعلبكي، دار العلم للملايس بيروت 1987. ص 1187.

⁴ محمد بن عمارة، المرجع السابق. ص 112.

⁵ عبد الرحمان نعيم الفراهيدي، كتاب العين، ج5، تح، مهدي المخزوني، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، بغداد. 1985. ص 395.

الجناح والدماعة:

الجناح: رداء يوضع على الرأس، بصبغ باللونين الأحمر والبرتقالي، ينسج من الصوف الأبيض، هو على شكل مربع، تلبسه النساء للخروج في فصلي الربيع والصيف، يزين بعد قلعه بخيوط ملونة، وهناك من يقوم بطرازته بأشكال ورسومات رائعة حيث تحمل دلالات وصفية لطبيعة وثقافة المنطقة.

الدماعة: تسمية مشتقة من الدماغ، لأنه عبارة عن رداء يوضع فوق الرأس لحمايته من الحر والقر، ويثبت تحت الذقن بحزام من الجلد¹ ينسج بالصوف الأبيض ويعلم بخطوط وورود، تلبسه السوفية في البيت وخارجه.

المرحمة: هي عبارة عن قطعة قماش مربعة الشكل مزينة برسوم وألوان عديدة، وتثنى في الوسط لتأخذ شكل مثلث، وتشد على الرأس بملاقة رأسي المنديل وراء الرقبة، وربط الطرفين المتبقين في الأمام أو على الجنب، فتسدل أهدابها على الوجنتين، وللمرحمة في سوف أنواع متعددة أخذت أسماء شخصيات ثورية وأخرى متصوفة، منها مرحمة بوشوشة نسبة للثائر الشهيد محمد بن التومي المدعو الشريف بوشوشة، مرحمة بن جلول " نسبة إلى الشيخ الجليل عبد القادر الجيلالي الذي تنسب إليه الطريقة القادرية، وهناك مرحمة سينكو، هذا بالإضافة إلى أغطية أخرى، منها الثام أو اللقام، وطبة الشاش والشان² وغيرهم.

أما لباس القدمين عند النساء السوفيات تتميز بالبساطة فهي تشارك الرجل في لباسها للعفان، وهو ما يلبس في القدمين إلى الكعبين، وقد يطول إلى نصف الساق. وتلبس نساء الحضر " البلغة" هي حذاء ذو فراش وكساء إذ تدخل فيه مقدمة القدم خلاله ويبقى العقب عارياً³.

¹ خوله عمارة، كريمة عازب عبد الله. اللباس في المجتمع السوفي خلال الفترة 1854-1962م. ص 79.

² المرجع نفسه، ص 81-84.

³ المرجع نفسه، ص 84-85.

وهناك حذاء " الريحية" سمي في بعض الرسوم بـ " الصباط" تصنع من الجلد وتجلب من تونس¹.

مع العلم أن اللباس التقليدي السوفي ترتديه المرأة فمازالت العديد من المناطق بالولاية ترتديه وتمسكة به رغم التطور الحاصل في النمط المعيشي لسكان المنطقة لأنه مستوحاة من الشريعة الإسلامية فاللباس خاضع للمعتقد الديني من ناحية الحشمة وستر كامل الجسد عن الغرباء.

>> حنة وخلاخل وحولي وراجل آخر<>² تظهر المرأة السوفية في أجمل وأروع صورة وهي ترتدي الحولي وهو اللباس السوفي الأصيل لدى المرأة السوفية فالمثل هذا الظاهر أنها قالت امرأة هددت بالطلاق، فردت على زوجها بأنها ستخضب الحنة وتترين وتلبس الحولي و تتزوج رجل آخر.

تقول الأغنية الشعبية " حولي جلواني" في وصف المرأة السوفية وهي ترتديه:

>> حولي جلواني احزام قيطن عنه لبسنه لبنيات رقصن عنه

ابروز سفايف حولي جلواني منه قلبي رايف لبساته الزهرة ماذا منها خايف

ريقي ييس محبت هي اتبله

ابروز خلايل لبساته السمرة بلثامها تتخايل حيرت كينيي وخلتني حاير

بوصالها هذاك ما نتمنى

تتخايل بيه، حولي بحزامه امدربي مواتيه خرجت للمحفل تدرج بيه

خلخال امذهب والكب محنية <<³.

¹ محمد بن عمارة. العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية، وادي سوف أنموذجا، ص 112.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 59.

³ حسان الجيلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف. ص 185.

>> حوكي وحرايري<<¹ حوكي وهو التي تمتهن الحياكة، حرايري أي تمتهن خياطة وبيع الحرير من طرف المرأة السوفية.

>> في النهار تهوف وفي الليل تغزل في الصوف<<² أي في النهار تطوف بالبيوت وفي الليل تعمل عمل النهار وهو غزل الصوف وخياطة الملابس فمن المستحسن غزل الصوف في النهار لأنه يحتاج ويستلزم النظافة والنور، ففي القديم كانوا يشعلون في الليل أضواء القناديل أو ضوء الموقد.

>> سعود ماهوش عرا زنود<<³، فالمثل يبين الخطأ لمن تلجأ للعراء لاصطياد زوج فإن الظفر بالزوج راجع لمقادير الله وكل امرأة وما كتب الله لها. فالمرأة السوفية بلباسها المحتشم بالحولي والمحرمه تغطي الرأس وبارتداء البخنوق الذي يسترها كاملة، وفي نفس المعنى تقول الحاجة " سعود ماهوش غلظ زنود"⁴.

المبحث الثالث: الحلي وأدوات الزينة عند المرأة السوفية

لم يكن اللباس وأدوات الزينة عند المرأة السوفية كافيا لإظهار جمالها، فكانت ولا تزال حريصة على كسب المجوهرات ليس فقط للزينة وإنما المرأة بذكائها الفطري، كانت تفكر في مستقبلها ومستقبل عائلتها إذ تستخدم الذهب خاصة للادخار وتستعمله وقت الحاجة وفي الأوقات العصيبة وقدما قالوا " الحدايد للشدايد" أو " الحدايد وقت الشدايد" من الحلي نذكر:

1- الخلخال: يصنع من الذهب أو الفضة ويلبس في الرجلين وهو عبارة على حلقة جانبها على شكل مربع وبها نقوش دقيقة.

2- المشرف: وهو حلقات توضع في الأذنين تتميز بعدة نقوش متنوعة.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 59.

² المرجع نفسه. ص 108.

³ المرجع نفسه. ص 80.

⁴ الحاجة طویل هنية لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 09،00 صباحا.

- 3- الأساور: أو النبايل وعادة ما تكون من الذهب الخالص تلبس في المعصم على شكل سبيجات.
- 4- السخاب: هو نوع من الحلي معروف بالمنطقة يصنع من البخور الذي يعجن بالعطر... ويقطع إلى أجزاء صغيرة على شكل هرمي ويجمع في خيط بأعداد متساوية يفصل بينها بقطعة ذهب منقوشة ذات شكل أسطواني ويوضع السخاب على الصدر.
- 5- الخمسة: توضع فوق الجبهة ومنها ما يصنع من العاج وهذا النوع يلبسه عامة الناس ومنها المصنوع من الذهب تصغه نساء العائلات الغنية¹.
- 6- الخرص: وهو قرط يعلق في شحمة الأذن واحتراز من أن يتمزق الأذن يثقلها، يربطنها في أعلى الرأس بشريط من الكتان أو خيط مفتول من الصوف، وبصاغ من الفضة أو الذهب، منها ما هو ذو شكل نصف دائري كخرص " المسلوته" وآخر شكله عبارة عن حلقة مفتوحة تلتصق بها كرة ذات ثقب من الذهب يسمى " خرص الكسكاس" وغيرهما².
- 7- البوكبير: نوع من الأساور ملساء (مقياس رطب) به نقوش تصنع من الفضة³.
- 8- البوخدوج: نوع من الأساور به خطوط على عكس البوكبير وهو أيضا يصنع من الفضة.
- 9- خلال: عبارة عن سلسلة من الفضة توضع على الصدر بها مشط فظة من الوسط⁴.
- 10- التيقار: حلي شكله كالوردة، مرصع بالأحجار الكريمة يلبس في جهة الرأس، وتتم صناعته هو الآخر بالفضة أو الذهب.
- 11- شركة الذهب: تصنع من الذهب تتحلى بها النساء وتضعها على الصدر
- 12- المدلج: مطرق يلبس في الرقبة، يصنع من الفضة أو الذهب.

¹ عروس البوادي، الوادي، مجلة ثقافية سنوية تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى والأغنية السوفية. العدد الأول. 2008. ص 30.

² خوله عمارة، كريمة عازب عبد الله، مرجع سابق. ص 95.

³ تدعى في وادي سوف بالمسايس.

⁴ لقاء مع الحاجة طويل هنية 07 أوت 2015 على الساعة 00،09 صباحا.

- 13- حدايد فضة: مقياس من الفضة، وهو من حلي المعصم (كالأساور)
- 14- المقياس (المقواس): أساور تصنع من الفضة بها نقوش تعرف بـ "الكبب".
- 15- البوكرمة: يعرف "بالمطرق الخناقي" يوضع على الرقبة ويوجد بالفضة والذهب.
- 16- الخواتم أغلبها مصنوع من الفضة وأخذت الخواتم على حسب شكلها ومنها نذكر:
الهلال، القلب، خوص، دق، عشرة، الزينة¹.

المطلب الأول: أدوات الزينة عند المرأة السوفية:

كانت المرأة السوفية تستمد سر جمالها من الطبيعة وطيب رائحتها من نبات الطبيعة فكان جمالها صادق وسحرها جذابا ورائحتها عطرة زكية فمنذ آلاف السنين اكتشفت المرأة مواد زينتها قبل ظهور المواد الكيماوية فحافظت على نظارة بشرتها المرأة مواد زينتها قبل ظهور المواد الكيماوية فحافظت على نظارة بشرتها وسلامة عينيها وصحة أسنانها باستعمال الفتول، الكحل، السواك وغيرها، ولعل ما أهم ما تضعه المرأة السوفية وتتميز به ما سنتطرق إليه:

- 1- البخور: يتكون من السرغين، الورد، القرنفل وعدة روائح منها الزيد وريحة بوماري والجايوي وبخور السودان والزعفران.
- 2- المعركة: تتكون من القرنفل (طيب) مرطب يضاف إليه الزيد وعدة روائح وقليل من الفرينة لتتماسك هذه المواد وتعجن كلها بالريحة وتصنع على شكل مثلثات في أعواد دقيقة لما تجف تصفف في خيوط من الذهب أو الفضة أو النحاس ثم تتزين بها المرأة في الأعراس أي تضعها في عنقها.
- 3- البوش: يتكون من المردقوش، القرنفل والورد والقرفة والريحة وزيت الزيتون وهو دهان للشعر الطبيعي ومعالج أيضا لمشاكل عديدة للشعر.

¹ حوله عمارة، كريمة عازب عبد الله. المرجع السابق. ص 92.

4- الكحل: يربط جيدا ويوضع في قارورات من الزجاج ويأخذ بالعود المصنوع من الخشب وتضعه في عينيها.

5- الشب والمسكة: يهرسان جيدا ويستعمل لإزالة رائحة العرق.

6- السواك: تضعه المرأة في فمها وهو عبارة عن خشب بني اللون وتمضغه عدة مرات حتى يتلون فمها باللون البني.

أما الجلاب تستعمله المرأة السوفية في حفل الختان وهو عبارة عن بخور أصفر حيث تحضر قطعة قماش بيضاء وتصنع منها ستة صرات توضع داخلها البخور ويخ بالزعفران والريحانة ويوضع له خيط أحمر وأصفر ويلبس للطفل يوم الجلاب¹.

>> أحفل يا زين وكدس <<² أي أحضر يا زين ويا جمال وتكاثر عنه فالجمال علامة وميزة تمتاز بها النسوة.

>> بعد مادام العرس جت العمشاء تكحل <<³ أي بعد ما انتهى العرس أتت تكحل أي تضع الكحل وتزين فالكحل الأسود أداة زينة للمرأة السوفية فهي عندما تضعه في العينين يزيد من جمالها وجمال عيونها فالكحل يبين ويظهر حدود العيون ويكبر العيون.

>> أفعشي يا قصة حتى يجيك الزيت من قفصة <<⁴ القصة عند المرأة السوفية هي مقدمة الشعر، وهي تزين بها عندما تنزل على وجهها، وهنا بمعنى انتظر يا شعر دون دهن حتى يأتي الزيت من مدينة قفصة التونسية، والظاهر أن الزيت لن يأتي وسيبقى على حاله جافا (فاعش)، فالمرأة السوفية عندما تدهن شعرها فهو يلين ويصبح سهل المشط والتسريح، يقول في هذا عبد الله مناعي:

¹ عروس البوادي الوادي، المرجع السابق. ص 31.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 26.

³ المرجع نفسه. ص 42.

⁴ المرجع نفسه. ص 35.

الفصل الثاني: الصورة الحسية

قصة زنجية مدهونة بالزيت ديما محضية

>> تخاف المرا من الشيب خوف النعجة من الذيب<<¹ أي أن المرأة تخاف من تنبيت الشيب علامة من علامات الكبر فالشيب يذهل جمال وأناقة المرأة السوفية، فشبه هذا المثل خوف المرأة من الشيب كخوف النعجة من الذئب.

>> تحزمت الخاينة تفرق العرس<<² أي أن المرأة الخاينة أي الدميمة وتحزمت للرقص في زواج للتعبير عن الفرح فتفرق العرس وهرب الحاضرون من سوء منظرها.

>> تقول للقمر أنزل ولا ننزل<<³ أي أن المرأة الجميلة التي تضاهي القمر بجمالها الساحر وهنا في هذا النطاق تقول الحاجة جبارية حومدي " حتى القمر فيه لولة"⁴ أي ما يظهر في وسط القمر من ضباية فيقال المثل في عدم كمالية جمال الإنسان فحتى القمر فيه لولة.

كما تقول الحاجة طويل هنية " قمر بين حيطين"⁵.

تقول الأغنية السوفية ما بهم زي الليل:

يا حدود الوردة وشامك نعناع زاهي بورقه

لو كان نلاقيك نعملك وعده ونادي السجيران والناس الكله

سالف درباته من تحت البخنوق بانو خجلاته

ايقلكشي طير النعام مروح لمباته كيف شاف الصياد من حينه وله

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 46.

² المرجع نفسه. ص 46.

³ المرجع نفسه. ص 48.

⁴ الحاجة جبارية حومدي، لقاء يوم 10 أوت 2015 على الساعة 9،30 صباحا.

⁵ الحاجة طويل هنية، لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 9،00 صباحا.

شفتها في منامي زينة العنهوس تمشي قدامي

سلمت عليها أنا ما ردت سلامي مشيت وتوحدت لله¹

>> تهنت القرعاء من حكان راسها<<²، القرعاء: أي المرأة الصلعاء بدون شعر، حكان: أي هرش، أي المرأة القرعاء التي ليس لديها شعر فهي تهنت من هرش الرأس وتسريح الشعر، لكن المرأة بدون شعر تكون بدون جمال وأناقة وحلة رائعة.

>> دارت مغرف من ذهب وما ستغنتشي عن جارتها<<³ أي أن المرأة المتواضعة بقدر ما تمتلك من الذهب فلا تستغني عن جارتها، فهذه من صفات المرأة السوفية التي تتصف بها فاهل سوف أهل الكرم والهمة والجود.

>> الزين ما عمر دار ما خلى دار<<⁴ المرأة الجميلة ليست بالضرورة ستعمر دار، وليست بالضرورة ستخلي دار، فإن من يعمر الدار الفعل الطيب والعقل الراجح بغض النظر عن صاحبه كانت جميلة أو العكس. يقال: " الزين ما بني ديار"⁵ يقال كذلك هذا في كثرة التنويه بالمرأة الجميلة لكن الجمال له أهمية لا تخفى إذا كانت المرأة صالحة ومن منبت صالح فهو كثرة من لا ثروة لها، إنما الجمال الذي لا صلاح معه، أو كان من منبت سوء فهو الذي قد يسبب المشاكل أو يحدث المصائب للزوج ولهذا قال الحديث النبوي الشريف >> إياكم وخضراء الدمن <<⁶ وهي المرأة الحسناء في منبت السوء كما حذر المثل العربي منا أيضا حيث قال: إِيَّاكَ وَعَقْلِيَّةُ الْمَلْحِ وَعَقْلِيَّةُ الْمَلْحِ هي كريمة الجواهر لأنها لا تكون في الماء الملح.

¹ حسان الجليلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف. ص 183.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 53.

³ المرجع نفسه. ص 66.

⁴ المرجع نفسه، ص 76.

⁵ عبد الحميد بن هدوقة، الأمثال الجزائرية، ص 94.

⁶ المرجع نفسه. ص 94.

يقول علي عناد في وصف جمال المرأة السوفية:

>> هزت فيا عيونها ذابت لشفار ملكتني يا ناس ضربتني عن كبدي خنجرها غاص

هزت فيا عيونها كامل الأوصاف منهم جسمي هاس كيف نشوف شعورها غطت لكتاف

حواجب نونين بيدها ماهر عالراس كاتب ماهر خاص معدي البكالوريا يكتب بحماس<<¹

>> زينة المرا فعاليل<<² أي أن جمال المرأة السوفية والمرأة بصفة عامة في أفعالها وأعمالها وتصرفاتها ذلك هو الجمال الحقيقي الذي لا يضاهيه جمال، يقال: "الزين في الأفعال"³.

ويقول الشاعر المغربي محمد المجذوب في هذا المعنى:

>> لا يعجبك نوار دفلة في الواد عامل ضلايل

ولا يعجبك زين طفلة حتى تشوف الفعايل<<⁴

>> القرعاء تتفخر بسوالف خالتها<<⁵ القرعاء أي صلعاء الشعر وتباهى وتتفاخر

بسوالف خالتها، فالمرأة السوفية ميزتها أن تسريحة شعرها وهي بظفر الشعر وهي جمع ثلاثة أشطر من الشعر وظفرها ويكون السالف مدلي على الكتفين على الجهتين اليمين واليسار أو جهة واحدة مستقيم.

¹ محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد. ص 186.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال الشعبية. ص 76.

³ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 93.

⁴ توفيق وامان، من الرباعية المنسوبة إلى الشاعر المغربي الشيخ عبد الرحمان المجذوب. ص 72.

⁵ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 110.

>> كونه الزيت في عكتها راهو باين عن قصتها<<¹ عكتها: العكة قرية صغيرة لتخزين الزيت والسمن، باين يعني ظاهر، قصتها: شعر مقدمة الرأس، وتكون تتدلى على الجبين فالمرأة السوفية تدهن القصة (مقدمة الشعر) فتعطىها بريق ولمعان.

>> كي سمحة النجع لعيون قداها<<² أي مثل جميلة النجع كل العيون تراقبها إما لمعرفة خلقها أو لخطبتها، فهي حسناء وفاتنة لذلك كل العيون تقع عليها.

>> شوي من الحنة وشوي من رطابة ليدين<<³ تمتاز المرأة السوفية بالحنة، فالحنة لا تعمل عملها إذ لم تكن اليد لطيفة ورطبة، فالتكامل ضروري لإتمام أي عمل، تقول أغنية غرام زهور وفي القصيدة وصف للحنة في يد المرأة السوفية:

>> نا نتمنى داية خواتم وذهب ورثة

تظهر خميسة أمدرجحة بالهلة

عند بنت الغالي بروحها فردية

نتمنى فيها خلخال رنان في رجليها

والحنة حمراء في يديها

أدت عقلي وروحي السوفية

خرجت ادور ها الطفلة المسمية زهور

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال الشعبية. ص 123.

² المرجع نفسه، ص 127.

³ المرجع نفسه. ص 85.

ريحتها

عطر وبخور

يا ناس عقلي أدواته هي <<¹

>> حجرة في حيط خير من لويزه في حيط <<² يقال هذا المثل للترغيب في بناء البيت قبل شراء الذهب كحلية للباس أو الذخيرة، واللويزة قطعة ذهبية مستديرة تلظم في العقد يقال أيضا بنفس المعن: "ياجورة في حيط خير من جوهرة في حيط"³ فإن امتلاك السكن هو خير من امتلاك جوهرة وهذا الرأي لا تشاطره المرأة إذ تفضل الحلي ويقول الزوج لزوجته ليقتنعه بمنافع امتلاك المحل فتستغني عن حليها لتساعده على بناء البيت أو شرائه، كما تقول الحاجة طويل هنية: "ابني وعلي وروح وخلي <<⁴ بمعنى أن البيت بعد رحيل الوالدين الأكيد سيبقى للأولاد.

>> مولاة العينين السود ما تعرف سوق الكحل <<⁵ أي أن المرأة التي تمتلك عيون سوداء اللون فهذا يكفيها جمالا وظهورا وتستغني عن الكحل الذي يرسم حدود العين فنظرة العيون السوداء جميلة وتزيد المرأة حلة وبهاء.

يقول عبد الله مناعي في الأغنية الشهيرة " يا بنت العرجون" التي تصف جمال وأناقة المرأة السوفية الأصلية بلباسها وزينتها وحنيتها:

>> ردي عليا يا بنيت العرجون ردي عليا يا كاملة الزين يا السوفية

الـمشـية ظـريفة والحاجب قتال والحنة خفيفة

والـحولي سـيـان زايـداته سـفـيفة

¹ حسان الجليلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب للطباعة والنشر. (دت). ص 173.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 57.

³ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 147.

⁴ الحاجة طويل هنية، لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 09،00 صباحا

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 171.

لحزام بوعرضين طيّه بطيّه	يا بنيت العرجون ردي عليا
أعجبني خيالك	يا هابطة للغوط وينهم رجالك
نتقدم بالخير	نطلب أوصالك
شرطك عيوني والقلب هدية	يا بنيت العرجون ردي عليا
زينك يـحـير	خلاني ممحون وانايا صغير
لـمقاوس فضة	من بعيد يشـير
خلخال بو زوزين نسمع ديّه	يا بنت العرجون ردي عليا
ناسك قهـارة	خايف يوم نجيك نشقى اخساره
تثمت العـديان	يـحـكوا بأسراره
هالطفل المسكين ماشي ضحية	يا بنت العرجون ردي عليّا << ¹

<> إلي دار العرس يكمل الحنة>>² فالحنة عند أهل سوف رمز من رموز الفرح لديهم، لأنه في العرس وفي كافة الأفراح من عادة المرأة السوفية تخضيب يديها ورجليها وشعرها بالحنة، ومن كانت لديها قريب ميت لا تخضب الحنة فهي تستحي وتراعي الحزن والألم الذي يعيشه أهل الفقيد.

<> إلي دابر العرس يكمل الدندانة>>³ كذلك الدندانة علامات الفرح فهي ما يسمى بالملكياج أي أحمر الشفاه الذي تتزين به المرأة السوفية في الأفراح والمناسبات السارة تتزين بالكحل في العينين والسواك وأحمر الشفاه.

¹ حسان الجلافي، من التراث الغنائي بوادي سوف. ص 194.

² محمد الصالح بن علي، موسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 134.

³ المرجع نفسه. ص 134.

رغم احتلال المرأة مركزا ثانوي في المجتمع السوفي من ناحية الفعالية والتأثير إلا أن الوثائق سجلت حضورا قويا لبعضهن فالمرأة السوفية اعتمدت في صناعة أغلب ملبوساتها على المواد المحلية كالصوف والوبر وغيرهما، وهذا لم يمنع السوافة من الانفتاح والتواصل مع الشعوب المجاورة في جلب مواد أخرى كالكتان والقطن والحرير التي تدخل في صنع لباس نسائهم واعتنت المرأة في سوف بأحوالها في التأنيق والتزيق لتظهر بمظهر لائق أمام بعلها وبنات جنسها، فاقتنت حليها المحلي والمستجلب من الفضة لدى سواء النساء، ومن الذهب عند ميسورات الحال، ولحسن التبعل حرصت المرأة على اقتناء واستعمال مواد التجميل المتنوعة لتحسن من مظهرها وهيئتها.

وعموما تدل مظاهر عادات اللباس والزينة أن الحياة المعيشية للمرأة السوفية غير قائمة على التكلف، فالشر والوقاية من أهم وظائف اللباس بالنسبة إليها، واقتصرت على الكساء أو الإزار من نسج الصوف ونادرا من القطن أو الكتان أو الحرير.

الفصل الثالث: الصورة المعنوية

المبحث الأول: مكانة المرأة في مجتمع وادي سوف

المبحث الثاني: أصناف المرأة

المطلب الأول: المرأة الأم

المطلب الثاني: المرأة البنت

المطلب الثالث: المرأة العروس

المطلب الرابع: المرأة الكنة (زوجة الابن)

المطلب الخامس: المرأة السلفة (زوجة أخ الزوج)

المطلب السادس: المرأة الضرة (زوجة الأب)

المطلب السابع: المرأة المطلقة

المطلب الثامن: المرأة العجوز

المبحث الأول: مكانة المرأة الاجتماعية في واد سوف:

المجتمع السوفي ينظر إلى المرأة نظرة سلبية، فالزوج نادرا ما يسمي الزوجة باسمها، وعندما يتحدث عنها يشير بلفظ (العائلة) ومن هنا فإن مكانة المرأة السوفية ثانوية في المجتمع السوفي، دورها ينحصر في تنظيم البيت (الحوش) وتربيته، والعمل في المطبخ لتوفير الغذاء للعائلة والأسرة¹ ورعاية الأطفال وما تبقى من الوقت تقضيه في صناعة الصوف لتوفير المنسوجات المختلفة لأفراد العائلة، أو من أجل التزود بها وتصديرها في الأسواق وكسب القوت منها وقد كانت المرأة البدوية تبذل جهودا مضاعفة نتيجة الأعمال اليومية وجهود الترحال في الصحراء، فمن قسوة الحياة في الصحراء والأشغال المضنية التي تقوم بها والتي تستهلك القوى نشاهد المرأة في الخامس عشر من عمرها قد تذبذب وتتجعد لكون حياة التشرد الصحراوي.

ومن العادات الاجتماعية عند السوافة أن المرأة دوما ما كثة في البيت ولا تخرج منه إلا قليلا لزيارة أهلها أو تهنئة قريب أو تعزية مصاب ويكون الخروج ليلا، كما أنها لا تظهر في السوق إلا نادرا ومحافضة على الحجاب والتستر ولا تخرج من المنزل إلا وجهها مغطى² حتى أن أحدهم تساءل عن أسباب تحكم السوافة في زوجاتهم وبناتهم وحتى أمهاتهم هذا تشدد وتعصب؟ وصلت الغيرة إلى معاقبة من يخرج من المنزل في حالة غياب رب البيت³ الذي يتحرى قفو الأثر قبل الدخول إلى بيته، ليرى من دخل أو خرج من المنزل وتتعرض المرأة في المجتمع للطلاق، إذا كانت عقيما أو تنجب البنات فقط، وتكثر الطلاقات وتتعدد لأسباب، بل تتنازل لبعليها في بعض الأحيان عن صداقها وتزيده مبالغ مالية فوق ذلك⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6. دار البصائر، الجزائر. 2007. ص 345.

² عثمان زغب، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة سوف 1918 - 1947م وتأثيرها على تونس وليبيا. رسالة ماجستير في التاريخ جامعة الحاج الأخضر باتنة. 2006. ص 189.

³ Andé voisin. Le souf monographie. El walid. El oued. P 80.

⁴ علي عنابرية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية. ص 34.

فالمرأة كانت محل أطماع أي الثروة و(القرض) الأقارب والأزواج خاصة، وبحكم وضع المرأة المخرج سواء أكانت أرملة في بيت أهلها تحت كفالة الأب أو أحد الإخوة، أو في عصمة رجل تخاف من عواقب رفضها لرغبته، وفي كلتا الحالتين يعتبر استغلالا وابتزاز للمرأة وفي المقابل نجد من النساء من تعرض المساعدة بمحض إرادتها سواء للزوج أو الأخ

<< البايرة قالت الرجالة عميو >>¹ الرجالة يعني الرجال والبايرة هي تأخر موعد زواجها وكبرت فتدعي أن الرجال هم الذين أصابوا بالعمى لأنهم لم يروا جمالها وأناقته فالعيب ليس فيها بل في الرجال الذين حرموا منها.

<< البايرة قالت بي سحر >>² وهو شبيه بالمعنى الأول فالتى تأخر زواجها فتدعي أن بها سحر هو الذي عرقل شبابها ومنعها حق الزواج كأي بنت فهي تربط حالتها بأن السحر هو الذي عرقل وتسبب في منعها من الزواج. وفي نفس النطاق نجد المثل هذا كذلك: " البايرة قالت سعدي منحوس"³ فهي تدعي النحس والتشائم لسعدها أي مكتوبها.

<< رايح للبايرة تكتبه >>⁴ أي أن الإنسان الذي يتكهن له أنه به شيء أو سحر أو ما شابه ذلك أو تأخير موعد زواجه فيذهب لتحسين نفسه فيذهب إلى امرأة بايرة أي بنت كبيرة السن فإنه حتما سيصبح زوجها.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 39.

² نفس المرجع. ص 39.

³ نفس المرجع. ص 39.

⁴ نفس المرجع. ص 72.

>> قداش من بارت وجاها مكتوبها>>¹ أي أن البنت إذا فاتها سن زواجها أو تأخر قليلا فيجب دائما أن لا ييأس من رحمة الله تعالى. تقول الحاجة زينة: "إللي بارت على سعدا دارت"² أي المرأة التي لا تتزوج باكرا تكون سعيدة مع زوجها.

>> عيب الرجالة مأكلة السوق وعيب النساء من كل معون تذوق>>³ أي عيب الرجل الذي دائما ياكل من مطاعم والأسواق دون أكل بيته وعيب النساء أنهن من كل أناء تذوق أي لا تعاف شيء على إلا طلاق وهي صفة غير جميلة لدى بعض النسوة.

فيقول ناس زمان >> على كرشي نخلي عرشي>>⁴ وهي من جملة النصائح التي تعطيها الأم لأبنتها لتعقلها وتصبرها إذا لم تسر بما هي عليه وما كانت تتمناه من الرفاهية وخاصة نوعية الأطعمة وكميتها وما تشتتية نفسها، والمثل قد جاء على صيغة الإثبات والمقصود منه النهي والإنكار فكأن قائله يريد أن يقول ليس من المعقول أن يضحى بهذه المنزلة لأسباب مادية حسية.

>> في دولة آخر زمان، الحجر يكساح والمطر من سماها تشحاح وتكثر لرباح والرجالة تفنى والنساء تقباح>>⁵ المثل يلخص مواصفات أهل آخر الزمان وهي كساحة الحجر أي البخيل يزداد بخلا، وتشح المطر من السماء وتكثر الريح وتفنى الرجال من كثرة الحروب والفتن ويصبح الحكم للنساء وتلك هو قبح النساء. حيث يقول عز وجل: >> وقرن في بيوتكن ولا تبرن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وأتين الزكاة وأطعن الله والرسول إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا>>⁶.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 112.

² الحاجة زينة شراحي: لقاء يوم 08 أوت 2015. على الساعة 18:30 مساءً.

³ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 101.

⁴ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 155.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 109.

⁶ سورة الأحزاب. الآية 33.

>> خايبة النساء عند مليح الرجال ومليحة النساء عند خايب الرجال<<¹ معنى هذا المثل أن التي لا خلق لها أو الدميمة أو منظرها ليس جميل عند أحسن الرجال، والمرأة الجميلة الفاتنة أو المتخلفة بنت الأصل والأخلاق الرفيعة عند دميم الرجال أو سيء الصمعة. فيصادفنا مثل يشبه معناه هو " المرا خشبة والسعد نجارها"² قديما كان الأب والأم هما اللذان لابنهما البنت التي ستكون زوجة له وقد تضطربهم الظروف بغض النظر عن العيوب والنقائص التي تتصف بها البنت التي اختاروها زوجة له تاركين الأمر للحظ والنصيب وما يحظى الزوج من ذلك بصقل خلقها وإصلاح عيوبها وبذلك فشأت حكمة الله أن تتوازن العائلة. ويقال أيضا:

>> ما يغلب الرجالة الفحولة غير النساء قلالات الأصل

وما يغلب قلالات الأصل غير صفاح القبور<<³

>> ضحك النساء عن النساء أعطيني عشاك وديري حساء<<⁴ هو شكل من أشكال الاستهزاء، فهي قصة المرأة طلبت من جارقتها أن تسلمها عشاء عائلتها وأن تجعل عشائهم حساء لأنه أسهل في الطهي وأسرع في الوقت، إذا فمن أغذية السوافة الحساء وهو عندهم لا قيمة له فلا يعتمدون عليه كغذاء أو عشاء كامل وهذا لبساطة ما يحتويه.

>> مزين النساء بالضحكات لو كان فيها يدوموا

الحوت يعوم بالماء وهو ما بلا ماء يعوموا<<⁵

¹ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 62.

² قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 152.

³ عمي بوشيبة، أمثال شعبية وألغاز. عين الذهب تيارت، (دت). 64.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 89.

⁵ عمي بوشيبة، المرجع السابق. ص 65.

ويقول المثل الجزائري أيضا: << أنتوما يا النساء هدرتكم ما تتحصى ومركتكم ما تنحصى >>¹.

<< إلي حاب العذاب يكثر النساء ولصحاب >>² ويقال أيضا: << إلي شاهي العذاب يكثر النساء ولكلاب >>³ يقول هذا المثل بأن الرجل إذا تزوج أكثر من امرأة فإنه قد اختار لنفسه العذاب ولن يعيش سعيدا هانئا.

ومن هذا نستنتج غيرة النساء السوفيات من بعضهن وخاصة زوجات الرجل الواحد وهي صفة لا تنطبق على النساء سوف فقط، لما ينجر عن ذلك من عناء، فالغيرة كذلك توجد عند السلفات وما إلى ذلك من النسوة.

كما يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

<< سوق النساء سوق مطيار يا داخله رد بالك

يوربولك من الريح قنطار ويدولك راس مالك >>⁴.

وفي هذا المعنى هناك مثل جزائري يقول: << إليلي يحب الهراج يكثر النساء والدجاج >>⁵.

<< إليلي ما تعرفش تنوح لاش يموت راجلها >>⁶ أي المرأة التي لا تعرف النواح والصراخ والبكاء بصوت عالي وخذش الخدود لماذا يموت زوجها، فمن عادات بعض النسوة في المجتمع أن المرأة إذا وافت المنية زوجها يجب النواح والصراخ وإدلاء بالإيجابيات ومحاسن الزوج وترديد ما يحبه وما يشتهي هذه التصرفات تتعب الزوج في قبره يجب الصبر على ما آتى به الله عز وجل وملئ القلب

¹. عمي بوشيبة، المرجع السابق، ص 83.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 130.

³ الحاجة زينة شراحي، العمر 72، لقاء يوم 08 أوت 2015 على الساعة 18:00 مساءً.

⁴ عبد الله بوحوص، مقال من موقع الكتروني عنوانه مجدوبيات لسيدي عبد الرحمان المجذوب. العمر 36 سنة، تاريخ المقال 20 أفريل 2009.

⁵ عمي بوشيبة، أمثال وألغاز، ص 66.

⁶ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 142.

باليقين والإيمان وتجاوز هذه المرحلة الصعبة والإحسان إليه بالخير والصدقات ودعوة الصالحة والرحمة والمغفرة من المولى عز وجل.

>> إلهي ما عنده الغنم ذبّاح وإلهي ما عنده مرا طلاق<<¹ أي من لم تكن له غنم تجده كثير الذبح بالقول: لكن لو كانت عنده غنم سوف لن يتكلم عن الذبح، وكذلك الشأن لمن لا يملك امرأة فتجده كثير الكلام عن الطلاق ومن مشجعي الطلاق للآخرين ولو كانت له زوجة فسوف لن يغير رأيه، فغن ابغض الحلال عند الله الطلاق لا سيما على الأولاد.

>> المرا على دين راجلها<<² أي أن المرأة إذا تزوجت فستكون سنداً لزوجها على الحلوة وعلى المرة وتكون معه على السراء والضراء تنسى حياة بيت أهلها وتهتم بزوجها وتسير على درب حياتها الزوجية والدائمة لها.

>> المرا قبرها راجلها<<³ فالبعض يفسر هذا بأن المرأة لا تدرس ولا تعمل ففي النهاية ستتزوج وتقبر عند الرجل، والحقيقة أن المرأة تتعلم وتصل ما تصل في حدود ما يتلائم مع أنوثتها لكن لا سترة لها ولا كرامة لها إلا بالزواج وكذلك الرجل، والقبر في هذا القول المقصود به السترة التامة لكل العيوب كما يستر القبر من فيه.

>> المرا البعيدة والملك القريب إود بيهم الحبيب حبيبه<<⁴ أي الزواج من المرأة البعيدة أي أي لا صلة قرابة منها، والملك القريب أي رأس ماله أو عمله القريب منه، يقول ناس زمان في نفس المعنى: "عليك بالسانية والمرأة الغربية"⁵ فإن هذا المثل كذلك يعارض تماماً الزواج من الأقارب كأبناء

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 143.

² نفس المرجع، ص 155.

³ نفس المرجع، ص 155.

⁴ نفس المرجع، ص 155.

⁵ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 156.

الجد الواحد فإنه يوصي عكس ذلك بالزواج من امرأة أجنبية عن العائلة مقطوعة من أسرتها وغالبا ما يقوله في حالة الغضب الرجل الذي تزوج من ابنة عمه ولم يسعد معها.

>> المرا شاورها وخاف عليها<<¹ أي خذ استشارة المرأة ومخالفة الرأي لها أي عدم الأخذ برأيها، ويعتقدون أن شر الآراء آراء النساء وفي فائدة المشورى: >> ابليس قال ما يغلبن غير إلي يشاور<<² فإن أهمية المشورى وفائدتها على الحث عليها، لأنها أساس سداد الرأي، فرأي الفرد قد يصيب وقد يخطئ أما رأي اثنين أو جماعة قلما يخطئ، وحتى إذا ما أخطأ فهو أفضل من رأي الفرد، لما يترتب على ذلك أي التشاور من تماسك بين أبناء المجتمع الواحد فلاستبداد بالرأي في أي مستوى كان غير محمود العقبة، فالذي لا يركن إلى الشورى من الأفراد العاديين يقبل منطقيا، استبداد الآخرين، أما استبداد الحاكم فهو غاية الغباء السياسي والتخلف الذهني.

قال تعالى: >> وأمرهم شورى بينهم<<³ وقال أيضا >> وشاورهم في الأمر...<<⁴ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: >> ما خاب من استخار ولا ندم من استشارة<<.

>> ما في النار صغيرة وما في النساء حقيرة<<⁵ يعني أن النار تبقى نار وليس فيها ما هو صغير وتبقى نفس مضرتها، وليس في النساء حقيرة الشطر الثاني من المثل أي أن النساء لا يسكن عن حقهن أبدا ولا يستطيع أحد احتقارهن كما سبق الذكر في المثل السابق:

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. 155.

² عبد الحميد هدوكة، أمثال جزائرية. ص 16.

³ سورة الشورى، الآية 38.

⁴ سورة آل عمران، الآية 159.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 163.

>> عقونة النساء تغلب فايق الرجال<<¹ ويقال: "كيد النساء غلب كيد الرجال"² وتقول الحاجة زينة: "العود إلي تحقره يطمزك"³ أي أن الشيء الذي تقلل من قيمته وتحقره فهو الذي يعطيك أكبر صاعقة.

>> مريضة ما تقسى عن لقريضة<<⁴ من صفات المرأة أنها كثيرة الغيبة تحب التجمعات النسوة وتجاذب أطراف الكلام والحديث عن الناس، فهذا المثل يعني أنها مريضة مصابة بالمرض ولم تستغني على الغيبة، وهي صفة غير حميدة ويجب تجنب كل ما هو غير لائق بمكانة المرأة المرموقة وأخلاقها العالية وخصالها النبيلة.

>> ميمونة تعرف ربّ وربّ يعرف ميمونة<<⁵ فتعددت الروايات من هذا المثل كل حسب تفسيره، إلا أن الأرجح أن ميمونة كانت لا تحسن قراءة الفاتحة وكانت تصلي، فسئلت يوما: ماذا تقولين في صلاتك يا ميمونة؟ فقالت أقول: "ميمونة تعرف ربي وربّي يعرف ميمونة" فأصبح قولها مثلاً.

>> النسبية ذيبة<<⁶ النسبية: الحماة، ولا ينطبق المثل على كل الحموات فدائماً المعتقد الشعبي يذهب إلى أن صورة النسبية هي التي تحرض البنت على بيت أهل زوجها وهي التي ترشدها وتقول لها أفعلي كذا وكذا وليس هذا بالضرورة أن يكون صحيحاً، فيجب الرفع من قيمة ومكانة الحماة فليس كل البشر تقاس بنفس المقاس، وكذلك فالنسبية أو الحماة دائماً ترى أن عادة ما تنظر

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 99.

² الحاجة طویل هنية، لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحاً.

³ الحاجة زينة شراحي، 72 سنة، لقاء يوم 08 أوت 2015. على الساعة 18:30 مساءً.

⁴ محمد الصالح بن علي، نفس المرجع. ص 167.

⁵ نفس المرجع. ص 172.

⁶ نفس المرجع. ص 173.

إلى الزوج ابنتها على أنه في فائدتها هي وابنتها فقط. كما قد تكثر النساء في العائلة الواحدة مما يجعلهن يهملن أهم واجباتهن.

>> هاهي مكحلي وخوذي حوري<<¹ هذا المثل قصته أن امرأة سوفية في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر كانت تلح على زوجها للذهاب والجهاد في سبيل الله وفي سبيل الوطن وكانت تغريه بما سيجزيه الله، ومن بين الإغراءات أنه إذا مات شهيدا سيدخله الله الجنة ويتزوج بـ "حورية" أي امرأة من الجنة، فقال لها: "هاهي مكحلي وخوذي حوري" أي اذهبي أنت للجهاد وتزوجي بـ: "حوري" أي رجل من الجنة.

>> معرفتك في البر تجارة، ومعرفتك في الرجال كنوز، ومعرفتك في النساء خسارة كي الشابة كي العزوز<<² معرفتك وسفرك للبلدان تجارة، ومعرفتك في الرجال كنز، ومعرفتك للنساء خسارة سواء كانت شابة صغيرة أم عزوز أي (عجوز). يقول المثل الجزائري:

>> سوق النساء مطيار يا داخل رد بالك

يوربو من الريح قنطار والدرك راس مالك<<³

مطيار يقصد لا فائدة ولا ربح فيه، والدرك أي الثقل وتحمل المشاق والخسارة، والمقصود أن النساء يظهرن أرباح غزيرة ولكن النتيجة الملموسة هي الخسارة الكبيرة.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 178.

² نفس المرجع. ص 168.

³ رمة الجزائرية، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، مقال من الأنترنت بتاريخ: 07-08-2015. على الساعة 15:45.

>> بهت النساء بهتين من بهتهم جيت هارب

يتحزموا باللفاع ويتخللوا بالعقارب<<¹

يقول الشاعر الساسي حمادي في قصيدته الكيد العظيم:

>> رد بالك من بونسون لا تعطي فيها لآمان

راهم وحلة في الزمان الله لا يـبـلـيك

من شرهم يحميك مثل ثعبان في الكتان

بسمهم تكويك

رد بالك من ها لولية راهي كي اللفعة الملوية

جرّب جيب معاها مريّة ثم تـبـان ليك

تبدا تنهب فيك في دارك ما تخلي حيّة لا بد تعريك<<²

>> من العجلة والخفة لبست راجلها قفة<<³ أي معنى هذا المثل فالخفة كلمة يستعملها

السواقة تعني العجلة والسرعة مستنبطة من خفيف، أي أن امرأة عجولة ومسرعة، فهذه الزوجة من عجلتها ألبست زوجها قفة بدلا من لباسه.

>> عقونة النساء تغلب فايق الرجال<<⁴ أي أن البلهاء وقليلة الذكاء في النساء تغلب

أذكي الرجال في هذا النطاق يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

¹ عبد الله، بوحوصي، مقال من الإنترنت بعنوان مجذوبيات لسيدي عبد الرحمان مجذوب. ص 2.

² محمد الصالح بن علي ومحمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره. ص 91.

³ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 169.

⁴ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 99.

كيد النساء كيـدين ومن كيدهن يا حزوني

راكبة على ظهر السبع وتقول الحداء يا كلوني.

ويقول أيضا: <> سمهم يتبارق تحب العبارق >>¹ هو مثل يجري على لسان الرجل الذي امتلاً غضبا على النساء فيتهمهن بأشنع صفات الغدر والخيانة، وكذلك يقال: " عقونة وتدي بايها"² أي رغم ما تدركه من نقص في الذكاء لا تتغاضى عن جميع حقوقها ولها النصيب الوافر من كل شيء.

يقول الشاعر الساسي حمادي في قصيدته الكيد العظيم:

<> يللي جاي جديد للدنيا تعالى نحكيك واصغاني نوصيك رديالك

من بنية حواء راهي خطر عليك

رد بالك من بنية حواء راهي كي اللفة تتولى

جربها وقت إللي تتنوى تبدأ تنتف فيك

بلسانها تاذيك تتزير كي مثل العقدة

ما تحلها سنك³ <>

¹ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 145.

² محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 99.

³ بن علي محمد الصالح وحمادي محمد نافع، الشاعر الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، ص 91.

>> الطرشاء وقالوها زغردي<<¹ فالأكيد هنا سيكون صوتها شديد الارتفاع لأنها تفقد حاسة السمع، وبنفس المعنى ولكن فيه اختلاف في الكلمات يصادفنا هذا المثل: " حمقاء وقالوها زغرتي"².

>> يا الواقف بالبواب عيط وكون فاهم، واش إفارق بين لحباب غير النساء والدراهم<<³ أي أن السبب الذي يفرق بين الأحباب والأصحاب هو مخالطة النساء والمال الذي يسبب المشاكل والكراهية والعداوة بين الناس.

فالمجتمع عامة والمجتمع السوفي خاصة ينظر إلى المرأة بأن دورها ثانوي ينحصر في أمور البيت وفي المطبخ لتوفير الغذاء للأسرة وعده الاهتمام بالدراسة للمرأة فحباؤها منحصرة في البيت وأشغاله ورعاية الأبناء، كما تقول الأمثال: المرأة قبرها راجلها" أي حياتها لزوجها والأبناء، وكذلك تقضي باقي أوقاتها تقضيه لتوفير المنتوجات لأفراد العائلة، أو من أجل التزود بها أو تصديرها في الأسواق وكسب قوت منها، فالمرأة السوفية تمكث في هذه الأشغال وعمرها لا يتجاوز الخامس عشر سنة وهي منهمكة في أشغال كبيرة ومتعبة بالنسبة لصغر سنها.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 91.

² قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 144.

³ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 184.

المبحث الثاني: أصناف المرأة

المطلب الأول: صورة المرأة الأم

حافظت المرأة على سمو مكانتها وموقعها في المجتمع العربي القديم، والإسلام أعلى من مكانتها، مثلما جاء به دين محمد صلى الله عليه وسلم وجعل حقها أعظم من حق الأب لما تحمله من مشاق الحمل والولادة والإرضاع والتربية وهذا ما يقرره القرآن ويكرره في مواضع عدة من القرآن الكريم ليثبت في أذهان الأبناء ونفوسهم ومن أعظم الأدلة على مكانة الأم في الإسلام الحديث النبوي الشريف الذي يروي قصة رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله من أحق الناس بصحبتى يا رسول الله؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك.

فلم تكن المرأة تبلغ منزلة العلو والرفيعة إلا حين تصبح زوجا أو أما، وكانت العرب لا تعلي المرأة إلا أن تكون أما ، وذلك ب: >> ولم يكن ذلك خاصا بحال المرأة عند العرب، فقد كان هذا شأنها أيضا عند اليونان لأنهم كانوا يعدّون المرأة أمة يحجبونها قبل الزواج وبعهد، وتشتغل بأشغال البيت كالحياسة والغزل وتمريض المرضى وكذلك كان يفعل الفرس بأبنائهم، فإذا صارت المرأة أما علت منزلتها وصار إليها الأمر والنهي في بيتها ولا يزال دأب أهل البادية إلى اليوم ونشأت عن ذلك عصبية الخؤولة عند العرب، وهي نظرة عشيرة الأم لأولادها فنبرّ الأم يعني إحسان عشتها وتوقيرها وخفض الجناح لها وطاعتها في غير معصية والتماس رضاها في كل أمر، حتى الجهاد إذا كان فرض كفاية لا يجوز إلا بإذنها، فإن برّها ضرب من الجهاد¹.

ومن تراثنا الشعبي السوفي وموروثاتنا الشعبية في مجال الأمثال الشعبية أعطت دور هام للأم وأظهرت لنا قيمة وصورت لنا متاعب ومشاق الأم لإسعاد أبنائها والكفاح من أجل حياة أفضل.

¹ زيدان جورجى، تاريخ التمدن الإسلامى. طبعة جديدة، (دت). ص4- 21.

>> أولادي قبل أفادي<<¹ أولادي: أبنائي، أفادي: أحشائي أو بطني. وفي مضمون هذا المثل أن الأم تفضل أبنائها قبل نفسها سواء في أكل أو شرب، أو لباس أو أي شيء تريد لهم الأحسن والأجمل على حساب نفسها، وهي تكمن المعزة الكبيرة والحب العميق الذي تكنه الأم لأولادها ومن الأحاديث النبوية الدالة على مكانة الأم قصة رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئتكم مستشيرك، فقال: >> هل لك أم؟<< قال: نعم، قال: >> فالزمها فإن الجنة عند رجليها<< فهذا يجب احترامها وتوقيرها والسير على درب أوامرها والابتعاد عن ما لا ترضاه ولا تحبه فإن الجنة تحت أقدام الأمهات فبعمل الخير وحسن الخلق والتربية الصالحة وإرضاء الأم والوقوف بها في السراء والضراء ذلك الجهاد الأكبر.

>> البطن إلي جابت البنت تجيب الولد<<² أي أن الأم التي تنجب البنات يأتي يوم ونفس البطن التي أنجبت البنات حتما ستنجب ولدا.

وفي هذا المجال نسرد حكاية الشاعرة مريم عماري³ أثر سماعها لبعض انتقادات نسوة الجيران لها والخط من قيمتها من خلال قولهن بأن زوجها الذي أنجب ولدا من زوجته الأولى وطلقها قد حرمه القدر من إنجاب ولد من مريم الزوجة الثانية بسبب ذلك الطلاق سيبقى ذلك الولد هو الأول والأخير من الذكور في عائلته وردّا على ذلك كانت تغني أثناء حملها الجديد بأرجوزة تحلم فيها بإنجاب ولد لتدحض أقاويل منتقديها قائلة:

يخلص راسي يا مولاي باش تفرح أمي وأبايا

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 38.

² المرجع نفسه. ص 39.

³ الشاعرة مريم عماري، من مواليد 1902م بحي الأعشاش بالوادي عاشت طفولتها بالوادي إلى أن تزوجت من لعبيد بن عمر بحاسي خليفة عاشت هناك بحي النزلة الشرقية اشتهرت بأغانيها وأراجيزها التي تؤديها في كثير المناسبات والأفراح، كانت جل قصائدها الشفاهية تنظمها عن ابنها محمد الذي أنجبته بعدما أنجبت أربع بنات قبله، لذا كانت معظم قصائدها عن هذا الابن الذي ولد بعد انتظار طويلا وظلت تغني له حتى بعد كبره وزواجه والذي ميز أراجيزها وقصائدها ردودا ضد هذا الواقع ونقدا للظروف الاجتماعية المنافية لقناعتها، توفيت الشاعرة سنة 1994م بحي المنظر الجميل بالوادي. بشير غريب، مقال بعنوان النقد الاجتماعي في الشعر الشفاهي عند الأمهات الشاعرة مريم عماري أنموذجا، مجلة القباب الأدبي، ص 12.

تقول في البداية:

جاياته لاني شرّطة	كان النية والبركة
ويعايروني في بناته	وجيب سيدي مولايا
الحمد والله منه جاباته	فرحانه كصده عدايا
جتي أماجع الشطيطة	ومن قالها خايقة من ميتة
وكي خدمت الخير لقيته	ونشاء الله يصادف ضنايا ¹

تبين هذه الأبيات مدى ثقة الشاعرة بالقضاء والقدر وأن الله يرزق من يشاء إناثا وذكورا، لذلك هي تستنكر هذه التأويلات المزاجية من قبل أولئك النسوة وتوضح أن عمل الخير هو الذي يجازي به الله تعالى عبده في الدنيا ويرزقه ما يتمنى في دنياه وآخرته، وتستشرف واقعها الجديد مع ولدها إيمانا منها بقدرته تعالى وثقتها التامة بأنه لا يخيب رجاء عبده الطائع.

<< بعد الأم تحي الخالة >>² ويقصد بمعنى هذا المثل أن حب الأم ومكانتها عند الأبناء كبير جدا وعند غياب الأم أو فراقها لا يحظى أحد بهذه المكانة ولا يستطيع أيا كان أن يتربع على عرش معزة وحب الأم الغالية والأمنية إلا شخص واحد وهي الخالة في هذا السياق تقول الحاجة زينة³ "خالتي أخت أمي كيما نقطة عسل في فمي"، يعني أن الخالة هي التي تعرف خصال وطباع أختها ومثلما تحب أختها أكيد أن تحب أبنائها أيضا وتعاملهم معاملة حسنة.

¹ بشير غريب، النقد الاجتماعي في الشعر الشفاهي عند الأمهات الشاعرة "مرعم عماري" أنموذجا. مجلة القباب الأدبي، ص 12.

² محمد الصالح بن علي: الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 42.

³ الحاجة زينة شراحي: تبلغ من العمر 72 سنة أم 09 أبناء القاطنة بحي 05 جويلية الرقيبة الوادي. لقاء يوم 08 أوت 2015 على الساعة 18:30 مساءً.

>> عياطها وزياطها وجابت بنت<<¹ يحكى أن أما، أي امرأة رغم ما أحدثته من ضحيج وضوضاء أثناء المخاض والنتيجة أنجبت بنتا ولعل المثل قيل في زمن ساءت فيه أفكار يحكمها شيء من الجهل بتفضيل الولد على البنت، فالله الوهاب والرزاق ولا ندري أيهما فيه الخير والبركة، وعموما كل ما يأتي من عنده تعالى فهو خير وبركة، وذلك في قوله تعالى: >> هو الذي يصوركم في الأرحام كيف ما يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم<<²

قال ابن كثير: >> يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد<<³ وفي هذا دليل وبرهان بأن الاتجاه يكون على الصفة والشكل الذي يريده الله عز وجل كيفما يشاء وبلا سبب.

>> كل قط في عين أمه غزال<<⁴ يعني أن كل ما كان عليه الابن سواء نقص في الجمال أو الطول أو القصر أو السمنة أو النحافة أو أي شيء عاب الابن فإن عين الأم تراه الأجل والأحسن والأبهى فالقليل تراه الأم الكثير والوفير وعين الأم دائما ترى الإيجابيات وتخفي السلبيات، فالقط الصغير عين الأم تراه بشكل الغزال وهو يساوي المثل كل خنفوسة في عين أمها عروسة.

>> كل علم أربابه كان أمي اسأل عليها بابا<< أي أن كل علم من العلوم سواء فيزياء، رياضيات، كيمياء، الأرض.. أي جميع العلوم لها أرباب إلا الأم لا يعرف علمها إلا الأب أي الزوج هو الذي دارت بينهم المودة والعشرة وأصبح الزوج يعرف طباع زوجته وأخلاقها وتصرفاتها كما يعرف نفسه تماما وبذلك يكون العلم الوحيد الذي يدرس الأم.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 101.

² سورة آل عمران. الآية 06.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت ط1، 1423هـ/ 2002م. ج 4. ص 2862.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 121.

>> إلى عاف أمه من إله <<¹ عاف يعني كره وترك، إله تعني يستره ويرعاه، يعني أن الذي كبرت أمه وعافها أي كرهها لأن الإنسان إذا تقدم في السن وكبر يحتاج إلى العناية واهتمام كبيرين وإذا عاف الابن أمه في كبره هو لا يجد من يلمه ويستره من مقاسي الحياة. يعني كما تفعل يفعل لك أبنائك سواءً بالإحسان أو الإيذاء.

>> إلهي عفته من أمك إدور الزمان وتقبله من غيرها <<² أي ما كرهته من أمك من صفات أو مرض أو نحو ذلك، ستقبله من زوجتك من المستقبل برضاك أولاً، وكعقاب لك رغماً عنك ثانياً على ما كرهت من أمك (كما تدين تدان).

>> إلى ما خدش رأي أمه يا همّه <<³ ما خدش، لم يأخذ رأي: رأي أي أن الذي لم يسمع رأي أمه يا همّه ويا كثرة الهم والغم عليه فعقوق الوالدين عاقبتها وخيمة ولذا يجب الخضوع لأوامر الأم ومراعاتها والإحسان إليها بما يستطيع الابن فعله ويروي البزاز أن رجلاً كان يا لطواف حاملاً أمه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها؟

>> قال: لا، ولا بزفرة واحدة << أي من زفرات الطلق والوضع نحوها فإحساس الأم إنما هي الآلام التي انفردت بها الأم عن الأب في الحمل والوضع والفظام والحضانة والتمريض والمعالجة والتنشئة الأولى، ولذلك نوه بذلك القرآن العظيم وأشاد بتلك المجهودات المضنية التي تتطلب نهاية الحنوّ والصبر والجلد، فقال الله تعالى: >> ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي والديك إلى المصير <<⁴.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 137.

² نفس المرجع. ص 138.

³ نفس المرجع. ص 142.

⁴ سورة لقمان. الآية 14.

>> لا أختك لا بنت عمك ولا من بعدي بهالك احلف إذا ماتت أمك صديق النساء ما يقالك¹ << لا أختك ولا بنت العم ولا بقية النساء تتغاضى على أخطائك مثلما تتغاضى وتحمل الأم، والمؤكد أنه إذا ماتت الأم لم يبقى صديق من النساء وفي مثل وفائها، وهذا المثل هو موال لأغنية سوفية. لذا يجب الإحسان إلى الأم وطاعتها حيث يقول تعالى: >> ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير²

وقال تعالى: >> ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه³.

>> لم عنها الفم ينظم⁴ << لم: الأم، أي لا كلام بعد الأم وحين نطقها يغلق الفم وهذا راجع لكبر المعزة والحب الفائق والاحترام للأم فهي منبع الحنان والدفع والحب.

>> الأم لمامه ومرات لبا محشة⁵ << الأم لمامه: أي تستر، لبا: الأب، محشة: منجل، يعني أن الأم دائما حريصة على إسعاد أبنائها وتلبية كل رغباتهم مهما كلفها الأمر، أما زوجة الأب فهي على العكس تماما من ذلك.

تقول أيضا الحاجة جبارية، في هذا الصدد " أल्ली مات أباه يتوسد الركبة واللي ماتت أمة يتوسد العتبة"⁶ يعني أن الذي مات أباه فما زالت لديه أمه ستضل حريصة عليه، وتغمره بحنانها الدائم الدائم وفي كل الظروف، أما إذا ماتت أمه فمن سيسأل عنه لأن الأب لا يستطيع أن يعوض ما تقوم

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 146.

² سورة لقمان، الآية 14.

³ سورة الأحقاف، الآية 15.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 151.

⁵ نفس المرجع. ص 128.

⁶ الحاجة جبارية حومدي، تبلغ من العمر 66 سنة أم 08 أبناء حي الأمل الرقبية الوادي : لقاء يوم 10 أوت 2015 على الساعة 9:30 صباحا.

به الأم، والأدهى والأمر من ذلك أنه سيتزوج من امرأة أخرى والتي ستجعل الريب موطناً كراهية لها، وعلى كل حال هذه هي نظرة المجتمع السوفي للمرأة تجاه أبنائها ولزوجة الأب تجاه أبنائها زوجها (ربائبها).

>> العز بعد الوالدين حرام <<: أي أ المعزة الكبيرة والوفاء والحنان بعد الوالدين لن يكون سوى منهم وخاصة بذلك الأم لأن الأم لها عناية كبيرة بالأبناء وهي التي تكون معهم من الصباح إلى المساء، يقول الشاعر التونسي أحمد البرغوثي:

ضناك ينفعك ما دام ما كنشي والعز بعد الوالدين حرام¹

>> الوسادة ولا الولادة² << جاء هذا المثل للتخفيف بين الوسادة وهي الزوجة وبين الولادة وهي الأم.

يقول الشاعر الشعبي علي عناد في قصيدته فراق الأم:

جا دون من تحزن نهار فراقي	>> أمواج البحر والشط والقرقاري
دموع عينيها عن خدها مصبوبة	بكت مشعوبة
فراقك جبل بالسيف عنه راقبي	انحس كبدتي متجرحة معطوبة
سوى زهو ولا حرب بالطقطاقي	والعبد يصبر ما سعى مكتوبه
يصبر بنادم ما عطت الحصة	سوى زهو ولا خصّـه
مصهود بنيـــــران يا تحراقي	مضرور من قلبي مريض انحسه

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 95.

² نفس المرجع. ص 179.

عن شمس زرقت خفتها تتمسى ومغيوظ نوع ساقوا العدو نياقو <<¹

>> الكبد ضنت وعادوت <<² يقصد بالمثل أنه لا يوجد حب يضاهي الأم لأولادها فلذة كبدها لكن هذا الحب يتكرر في أولاد الأولاد، وعدم إنجاب الأولاد مشكل كبير، حيث يقول الشاعر علي عناد في قصيدة فقدان الأم للأولاد:

>> مَحْتار ودايا في كنيي هارب عليا النوم ما باش ايجيني

مَحْتار يا لحباب ديما ديما هارب عليا النوم ما تهداش

سهران طول الليل في تخميمه بكره نفتن مقسوم عن قداش

يا نار قلبي ليعته وتقسيمه محروق غير الحي ما يبلش

نيران جاتي في الكنين رصينة إللي علتته في القلب ما يبراش

مفارق حبيب معاه عشرة قديمة وفراقها مرار ما طقتاش

وعلى طول الزمان نصيمه رحلت وخلت وراها احداش

واش حالت فراق بغير جريمه ما دام نايا حي ما ننساش

كرهت الحياة ما عد عندي قيمة إذا ذبلت ولت حالي ماهناش <<³.

وفي الأخير نستنتج أن الأم هي منبع تتفجر منه جميع عواطف الحب والخير والإحسان، وهي الركيزة الأساسية في الأسرة. فهي تحسن تربية الأبناء وتعودهم على طاعة الله وتشجعهم على نصرته الحق، فتغرس فيهم الفضائل وتبغضهم من الرذائل استجابة لعاطفة الأمومة في صدرها فالله تعالى

¹ محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد، مطبعة مزوار، ط1. 2008. ص 14، 15.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 155.

³ محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد. ص 150.

فرض على الولد الإحسان إليها، التقرب إليها بلين وخفض الجناح، تحسس مواطن رضاها فيأتيها، مواطن سخطها فيزيكها، الدعاء لها بظهر الغيب الاعتراف بحقها بالقلب واللسان والسعي الجاد لنيل رضاها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم >> إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالأقرب <<

المطلب الثاني: صورة المرأة البنت

لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم كرم الطفلة وجعل لها حقوقا وعليها واجبات، وحذر من قضية وأد البنات التي كانت منتشرة في الجاهلية فمنذ ظهور الإسلام إذ نزل القرآن الكريم متعجبا من هذه القضية، ومن عدم توريث البنات الذي نراه الآن في مجتمعاتنا المعاصرة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: >> دخلت امرأة معها بنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمر فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته، فقال: من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له شرا من النار¹ البنت هي صانعة أجيال الغد، هي الرافد الذي لا ينضب الذي يمد المجتمع بطاقات إبداع خلاقة وترتقي بها إلى مراتب عالية من التطور والتقدم في شتى مناحي الحياة.

فالبنت معنية بالقيام بدور كبير داخل أسرتها، دور يجسد إحساسها بروح المسؤولية حيال نفسها أولا، وأسرتها ثانيا، ومجتمعها ثالثا، فالمجتمع السوفي كان يرى بأن البنت شغلها الشاغل عمل البيت وأسرتها، وعند بلوغها سن 11 فما فوق هم يفكرون في تزويجها والرجل الذي يتقدم ذلك هو

¹ الحديث رواه البخاري، رقم (1418) في كتاب الجامع الصغير. ص 69.

نصيها فهم يعتقدون أنها تحملت المسؤولية الكاملة فبذلك ستحمل مسؤولية الحياة الزوجية، ومن الأمثال الشعبية السوفية التي تعكس صورة البنت السوفية الأصيلة.

>> أخطب بنات الأصول علاش الزمان يدور<<¹ أي تنصح الرجل المقبل على حياة زوجية باختيار بنت الأصل وذي أخلاق الطيبة لأن الزمان إذا دار يوما ما فالأكيد أنها هي التي تقف إلى جانبه وتكون سنده في مواقف وعبر الحياة. يقال: >> خذ بنت الناس إذا ما لقيت الهناء تلقى الخلاص<<² فنفس المعنى، هو تحييد الزواج بذات الحسب والنسب والحث عليه، فأساس الزواج وصلاحه هو التفاهم المبني على الحب والاحترام المتبادل والتعاون القائم على التضامن بين الزوجين في السراء والضراء يقول الشاعر علي عناد في قصيدته "بنت الحلال".

>> واحد كاسب بنت رجال	بنت عروش خيار قبيلة
واحد كاسب بنت أرزال	ياويله منها يا ويله
وواحد كاسب بنت حلال	بنت أصول بنت رجال
هـمة سياسة وأفعال	بالداير تلقيها جميلة
واحد كاسب بنت أرزال	عشرتها كلها بالحيلة
واحد كاسب بنت فحول	هـمة وسياسة وأصول
مهما كان الحال يطول	عمره يفوت تقولش ليله
واحد قال كلامه مقبول	يغلط هـي تعديل<< ³

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 27.

² عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 22.

³ محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي "علي عناد". ص 150.

فهو يمدح بنت الأصول التي عشرتها جميلة وصلاح البنت الزوجية بفضلها، يقال أيضا: >> قبل ما تخطب وجد الماء والخطب<<¹ أي يجب اختيار المرأة الصالحة، وعدم التسرع في الخطبة.

>> أخطب لبنتك وما تخطبش لولدك<<² المثل هذا يؤكد على حسن أخلاق الرجل أي أن الخطبة تكون للبنت للرجل خطب الرجل المتخلق ذي صفات عالية وتتوفر فيه الطهارة والصلاح والعمل لجلب قوت يومه فالوالدين في المجتمع السوفي يحرصان حرصا شديدا على المستقبل ابنتهم وهنائها، وهذا من حيث الاختيار لها الرجل الصالح الذي يصمت لها مستقبلا سعيدا، فهذا المثل يقر على أنه ليس من العيب أن تعرض ابنتك على الرجل الذي تثق في أخلاقه.

تقول الحاجة الجبارية: " بنتك قمرها³، وولدك يصّله"⁴ يوصي بأن تفكر جيدا قبل تزويج البنت وحسن الاختيار، وأن يزوج الولد بنت الأصول.

>> إذا قلت الكلمة وفيّ وإذا تكرمت اليد عيبيها وإذا كبرت بنتك أعطيها<<⁵ مضمون المثل الوفاء بالعهد والتكرم بالجيد الكثير، وتزويج الفتاة إذا كبرت فذلك سنة الحياة وأحسن لها فإذا جاء موعد زواجها فلتتزوج.

>> أعطي بنتك وزيد عليها مخضة<<⁶ أي تزويج البنت وزيادة فوقها، يقال: أعطي بنت وهاك كذا وكذا، هاك عولتها وهيني منها، فهو مثل يدور بين رجلين فوالد البنت لا يكتفي برد ما يقدمه له الخطاب فحسب بل أكثر من ذلك انه يجهزها بكل ما يلزمها فالمهم عنده هو أن تسعد مع زوجها.

¹ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 154.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 27.

³ قمرها: أي أخت لها المكان الطيب الذي ستعيش فيه هانئة هذا باختيار الزوج الصالح.

⁴ لقاء مع الحاجة جبارية حومدي يوم 11 أوت 2015 على الساعة 10:00 صباحا.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 30.

⁶ نفس المرجع، ص 34.

يقال أيضا: " أعطي بنتك وزيد عولتها قمح"¹ أي أن من يخطب فتاة من أبيها ويشترط عليه أن يعطي قوتها من القمح، فالقمح لدى سكان سوف من الحبوب الثمينة قال فيه الشاعر الشيخ المجدوب:

>> القمح يسموه الريح ذرية يمشي غباره
القلب إلي كان مهموم اللون يعطي أخباره <<²

وفي رواية أخرى:

>> القمح هو الريح وذرية يصفى غبارها
إذا بغيت تنحي من الناس من البلاء تنهي صغاره <<³

>> البنت تجي بعيدة من القلب وتقربله، والولد يجي قريب من الولد ويبعد عليه <<⁴ أي أن البنت عد ولادتها جميع أفراد العائلة من أب وأجداد... لا يجذون البنات ولا يفرحون عند قدومها إلى الحياة فالجميع لا تظهر عنهم دلالات السرور. فعند قدوم الولد الكل يبشر بذلك فالجميع فرحون بهذا المولود الجديد الذي سيحمل اسم العائلة فعندما تكبر البنت فبحنانها وعطفها وحسن سلوكها وما تتحمله من متاعب وأعمال البنت، فحنيتها على أبيها وأمها فتكبر معزتها عن الوالدين وأخوتها بل الولد بالعكس يأتي عزيز عند جميع الأسرة فبسلوكياته الشنيعة والغير محبوبة وتصرفاته التي لا يرضى عنها والديه فهذا يولد نقصان في معزته.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 131، 132.

² توفيق وامان، من الرباعية المنسوبة إلى الشاعر المغربي محمد المجدوب. ص 90.

³ عبد الله بوحوصي، مقال إلكتروني، مجذوبيات لسيد عبد الرحمان المجدوب بتاريخ 20 أبريل 2009.

⁴ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 40.

>> بن عمك إلي يقاديك<<¹ إقاديك: تتوافق وتتفاهم معه أي تحببذ الزواج من ابن العم، هو الذي يرعاها ويحافظ عليها، فطبيعة المجتمع السوفي في القدم كانت البنت منذ الصغر يقال عليها موضوع الخطبة بأنها تسمى لابن عمها فلان فهم شديدي الحرص على صلة تزويج البنت لابن العم فهو الذي يقبلها بكل عيوبها ومحاسنها واعتقادهم بأن إذا وقعت مشاكل فابن العم يقيها من عبء عراقيل الحياة الزوجية ففي هذا الصدد تقول الحاجة زينة: " ولد عمي يحمل همي"².

>> بن عمي بحلاسه خير من البراني بلباسه<<³ فالمرأة السوفية تقرر بأنها تفضل ابن عمها حتى لو كان فقيرا "بجلاسة" عن الرجل الأجنبي حتى لو كان غنيا " بلباسه" يقال في هذا الصدد أيضا تقول الحاجة جبارية حومدي: >> فاطنة لا تاخذي البراني، حتى ولد السلطان قولي براني، خوزي بن عمك حتى عريانة تنكسي من عند أمك<<⁴

>> تبع الطرق ولو دارت، وأسكن المدينة ولو جارت، وخوذ بنت عمك ولو بارت<< بارت: وصلت العنوسة، يقال في تحببذ الرجل للزواج بينت العم. >> خذ الطريق العافية ولو دايرة، وبنت العم ولو بايرة<<⁵، جزء المثل الأول يعني تجنب ما لا يحمد عقباه، ولو كلف تجنبه عناء زائد، والجزء الثاني تحببذ الزواج من القرية أي بنت العم، أي أفضل من الأجنبية ولو كانت بايرة، لم يخطبها أحد لأنها تحفظ عرض زوجها وماله ونسبه الذي هو عرضها ومالها ونسبها أما الزواج من البعيدة فقد يصلح وقد لا يصلح، وفي نفس المعنى نجد أمثال كهذا المثل إلا تغير طفيف في الكلمات: >> خذ

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية لأمثال والحكم الشعبية. ص 43.

² الحاجة زينة شراحي، لقاء يوم 09 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحا.

³ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 43.

⁴ الحاجة جبارية حومدي: لقاء 10 أوت 2015 على الساعة 09:30 صباحا.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 46.

الطريق الصحيحة ولو دارت وخذ بنت العم ولو بارت <<¹ والمثل التونسي: <> الثانية ولو دارت وبنت العم ولو بارت <<² الثانية: الطريق.

<> زيتنا ييسس دقيقنا <<³ يقال هذا المثل في زواج الأقارب، وأن البنت تتزوج قريبها وهو من حيث ألفاظه يشبه مثلاً عربياً يقول: <> سمنكم هريق في أديمكم <<⁴ يضرب للرجل ينفق ماله على نفسه ثم يريد أن يتميز به، كما يشبه أيضاً من حيث اللفظ مثلاً عربياً آخر: <> الزيت في العجين لا يضيع <<⁵ يقال فيمن يحسن إلى أقاربه، فزيتنا ييسس دقيقنا هو تبرير الزواج بين الأقرباء، وبذلك يستفيد الأقرباء من هذا الزواج وهم أحق بذلك من غيرهم وبعضهم يقول: <> دقيقنا في بيتنا <<⁶، ويقال أيضاً: <> زيتنا في دقيقنا <<⁷، فكل الأمثال باختلاف معانيها تنطوي تحت بنيتنا أولى بها ولدنا، وولدنا أولى به بيتنا في الزواج.

<> السمحة عند بنت عمها وجاية ولد <<⁸ فالبنت السمحة أي البنت الحسنة شكلاً وسلوكاً، ومضمون المثل هو أن مثل هذه المرأة يتزوجها أحد أبناء عمومتها لأنهم أقرب الناس إليها، ولا يمكن أن يتركوها للغير وهي بهذه الصفات.

بينما من أقوال البنت تقول الحاجة زينة: "ناخذ ابن عمي ونتغطي بكمي"⁹ أي تفضل ابن العم زوجاً لها حتى ولو كان فقيراً.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 23

² قادة بو تارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 153.

³ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 76.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، المرجع السابق. ص 92.

⁵ نفس المرجع، ص 92.

⁶ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 154.

⁷ رمة الجزائرية. مرجع سابق.

⁸ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 60.

⁹ الحاجة زينة شراحي: لقاء يوم 09 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحاً.

>> كل زير يلقي مغطاه كان أنا وبنت عمي جينا مغطاه<<¹ زير بالعربية الفصحى هو إناء فخاري كبير للماء، ولكل زير غطاء أي لكل رجل امرأة تناسبه كتناسب الزير مع غطاءه إلا هو وبنت عمه فقد كان كل منهما غطاء أي أنهما كلاهما لم يتفهم ويحسن إلى الطرف الآخر.

يقال في نفس المعنى " بن عمك هو همك"² فهو مثل يردده الإنسان بمزيد من الأسف وقد يؤس من أقراره بسبب سوء تفاهم أو مشاكل قائمة بينهم وخاب ضنه فيهم في بني قومه لنفس السبب، فعدم التفاهم وعدم الانسجام والتوافق تولد من الروح الشعبية أمثال تعبر عن ما بداخلهم.

>> لو كان فيها الطب راهم قالوها أولاد عمها كب<<³ الطب أي النفع والخير، وأصلها وأصلها الطب ما ينفع ويتداوى به الناس، كب: المقصود بها هنا وضع اليد على الشيء بسرعة والمعنى الذي يحمل المثل أن لو كانت البنت ذات حسب ونسب، وأخلاق وجمال لسبق لخطبتها أبناء عمومتها كما سبق لنا الذكر: السمحة عند ولد عمها وجاية ولد.

>> ما جاء ولد عمي كان شبع الهم مني<<⁴ الأكيد أن وراء هذا المثل قصة عجيبة لم أصل إليها رغم البحث، والأرجح والله أعلم أن بطلة هذا المثل شابة شبعتهما وغما قبل أن يتقدم ابن عمها لخطبتها فطال انتظاره إلى أن جاء الفرج حيث يصادفنا مثل يقارب معناه في هذه النقطة يقول: " أقعدي يا بنت عمي هنا، إذا لقيت خير منك ما نرجعش ليك وإذا لقيت مثلك وإلا أعر منك نرجع ليك"⁵ هذا قصة رجل يقول لبنت عمه لا تتزوجي حتى أبحث عن امرأة أخرى، فإن وجدت أحسن منك لم أعد إليك ولا أخطبك وإن وجدت مثلك أو من هي أعز منك عدت إليك.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 120.

² قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 144.

³ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 153.

⁴ المرجع نفسه. ص 161.

⁵ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية. ص 151.

>> اللي عنده لبنات ما تعرفه وين إبات<<¹ أي أن من كثرت بناته إذا نام خارج بيته لا تعرف مكانه، فكل منهن تنافس أختها على أبيها فهذا المثل ينبهنا إلى رأفة البنات.

>> ألي كبرن له لبنيات العينين عنده تبات<<² أي أن الأب إذا كبرت له بناته وأصبحن شابات تتجه له الأنظار وذلك للخطبة.

>> إلي مد بنته ييس رقادها<<³ مد يعني أعطى وزوج، ييس: جاءت من اليأس، والمعنى من زوج ابنته لا ينتظر أن ترتاح وتنام فالزواج مسؤولية ثقيلة. كذلك فالذي زوج ابنته لا ينتظر أن تأتي إلى بيت أهلها وتنام فيه كما كانت قبل زواجها.

تقول الشاعرة مباركة بن تركي المصباحية في شوقها لبنتها:

>> رحل نجع مطروح بسود هذوبه	من فراقها نحس كبدي مشغوبة
رحيلها شرق وشدودها قفة	انــــزاح عني اتدق
لا يردح المكتوب فيها يفرق	انتي غاية وانايا بايتة مكبوبة
بعد بهــــالها تطوح	عني بشبحتها وخيالها<< ⁴

>> الخطابة عشرين والمكتوب واحد<<⁵ هذا المثل يصور أن كل شيء بمشيئة الله وان البنت يأتي لخطبتها العديد من الرجال طالبن الحلال من أهلها إلا أن المكتوب الذي تتزوج وترضى به الفتاة واحد، يبقى كل شيء بمشيئة المولى عز وجل فالخطاب كثيرين ويبقى المكتوب واحد ذلك

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 138.

² نفس المرجع. ص 140.

³ نفس المرجع. 143.

⁴ أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون بمنطقة سوف، إصدارات دار الثقافة بالوادي، ج2، (د ط)، 2008، ص 33، 34.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 60.

هو القدر المحتوم ويقال في هذا النطاق تقول الحاجة جبارية حومدي: " المكتوب على الجبين تشوفه العين"¹.

وتقول الحاجة زينة المكتوب يغلب من أقول بغينا (حبين) وانزل منازل وين ما ظنينا<<² أي أن المكتوب والمقدر للإنسان قد يؤدي به إلى عكس ما يحب وينزله حيثما لم يكن يظن أنه سينزل، وكم من أحب امرأة وتزوج غيرها؟ وكم من أراد أن ينزل عند فلان في النسب؟ فنزل منزلا لم يكن يظنه ويتوقعه.

<< الخطاب رطاب>>³ أي كثير التقرب لأهل خطيبته، كثير التفاخر بما يملك وكذلك هذا المثل يعني أن أهل العريس عند ذهابهم لأهل العروس لطلب يد ابنتهم يبدون لهم حسن المعاملة، وأطيب كلام كما يغضون الطرف عن مساوئهم لذلك يقال في هذا المعنى تقول الحاجة جبارية "ياما كذبوا يوم اللي خطبوا، جابوا العسل في لواتي"⁴

يقول الشاعر مهدي غمام في قصيدته بنت الحسب:

وإن صار بيا شي هي سبابي	بنت الحسب والنسب والأصول
كيف تلاقيني ترخ بيا ركايبني	تفشل تهين قدامي مـذهول
وكان كلمتني يضيع مني صوابي	ما نعرفش واش قلت واش بش نقول ⁵ .

وفي الأخير نستنتج أن البنت مصيرها الزواج والاستقرار في بيت الزوجية لأنها هي التي ستدوم لها، فيحسن الوالدين تربيتها وكذلك يحسن اختيار الوالدين لزوج البنت اختيار الزوج الصالح الطاهر

¹ الحاجة جبارية حومدي، لقاء يوم 11 أوت 2015، على الساعة 10:00 صباحا.

² الحاجة زينة شراحي: لقاء يوم 09 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحا.

³ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. 60.

⁴ الحاجة جبارية، اللقاء السابق.

⁵ نسخة مكتوبة بخط الشاعر مهدي غمام.

الفصل الثالث: الصورة المعنوية

الذي يتجلى بأخلاق الطيبة ويحسن العشرة إلى ابنتهم ويطمئن الوالدين على الابنة لأنها تكون في أيادي أمينة.

تقول أمثال شعبية بين البنت والأم فتقول: << البنات عن مات >>¹ أي البنت تكون نسخة من أمها سواء في الأخلاق أو الأفعال والسلوكيات فيقال 3 أنشد على الأم قبل ما تاخذ بنتها² فبخصال الأم وأخلاقها تسير البنت على دربها. يقال أيضا:

<< كب القدرة على فمها تجي البنت لمها >>³ نفس المعنى البنت هي صورة طبق الأصل على تعاليم وأخلاق الأم.

تقول الحاجة زينة: " رباية البنت على أمها"⁴ و " السورية كم والبنت أم"⁵، ذلك لأن البنت تكتسب الكثير من طباع أمها إذ هي أكثر التصاقا بها وتعرف جميع أسرارها، وحنان الأم الذي لا يخالطه الزيف والخداع.

المطلب الثالث: صورة المرأة العروس

البنت مهما عملت فمصيورها الزواج وإتمام نصف دينها، لذا يجب أن تتقن من أشغال البيت واكتساب مهارة الطبخ وتعلم كل الأمور المنزلية، لأنها مقبلة على حياة زوجية ومسئولية على عاتقها، والتحلي بالصبر والخلق الحسن، والكلام الطيب لكسب محبة وود أهل الزوج، وتكون العشرة بينهم طيبة، فمصير البنت تزف عروسا إلى بيت عريسها راجية من الله أن يرزقها أبناء أو بنات وتعيش حياة سعيدة وهنيئة. ومن الأمثال الشعبية السوفية التي صورت العروس ما يلي:

¹ محمد الصالح بن علي: الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 40.

² الحاجة زينة شراحي: لقاء يوم 08 أوت 2015 على الساعة 18:30 مساء.

³ محمد الصالح بن علي: المرجع السابق. ص 118.

⁴ الحاجة زينة: اللقاء السابق.

⁵ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص 118.

>> أسرار العروسة عند أمها مدسوسة>>¹ أي أن العروس تفرغ أسرارها وقلبها إلى أمها فقط لأنها الوحيدة التي تفهمها وتنصحها من قلب صافي طاهر يحبها فتخبئ ما يجول في داخلها من أسرار فتستقبلها الأم بكل صدر رحب.

>> أضرب القطوسة تخاف العروسة>>² القطوسة تعني القطعة، يبين هذا المثل أن المرأة السوفية، في الأيام الأولى بعد زواجها تكون محتشمة من أهل البيت الجديد إلى حد أنه إذا ضرب أحد القطعة أو طردها تضنه يعينها، فتأخذ حذرهما وتحرص على التصرف بشكل صحيح.

>> دابر وذن عروس>>³ فمن صفات المرأة العروس تسمع انتقادات النساء اللاذعة، وكأنها لم تسمعها ولا ترد عليهن بأي كلام ولا تعيرهن أي اهتمام.

>> العروس دون ما وصلت عام وست أشهر ما تندم وما تشكر>>⁴ أي أن العروس لنم تألف بعد زواجها كل الأمور تبدلت عليها وتغير نمط معيشتها فأهل الزوج يجب عليهم أن يتفهموا ذلك وأن كل ما بدر منها من تصرفات ذلك نتيجة تغير الأحوال عليها فالعروس لو لم تصل سنة ونصف لا تشكر ولا تندم ونقول أيضا.

>> العروس في عامها لوم من لامها>>⁵ أي العروس في سنة زواجها الأولى لا يلومها الناس على أي شيء لأنها في تغير معيشي فنلوم من لامها ولا نلومها هي بالذات.

>> عروس فوق الكرسي ما يعرفوها لمن تمشي>>⁶ هذا المثل يؤكد على قدرة ومشية الله عز وجل وعلى النصيب الذي يقدر لكل فتاة، فالعروس فوق الكرسي عشية يوم زفافها لا نعرفها لمن

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 33.

² نفس المرجع. ص 34.

³ نفس المرجع. ص 67.

⁴ نفس المرجع. ص 95.

⁵ نفس المرجع. ص 95.

⁶ نفس المرجع ، ص 98.

تمشي، هي ستتزوج طبعاً لكن نصيبتها يمكن أن يتغير في ثانية فيبقى كل شيء يسير على قدرة الله تعالى.

>> واش يخرج العروس من دار باباها<<¹ فالعروس قبل خروجها من بيت أبوها تتأثر كثيراً وتصبح دموعها تذرف على حدودها فتصعب عليها الخروج من بيت الأهل الذي ولدت وترت وكبرت وترعرعت فيه لكن هذه سنة الله في خلقه.

فالأب يوصي بنته بفعل الخير والإحسان والبر لبيت أهل زوجها والتحلي بالصبر وعمل فعل الخير، يقول الشاعر مهدي غمام في قصيدته مسعودة:

>> نوصيك فعل الخير يا مسعودة	وليام راهي فانية ومعـدودة
نوصيك فعل الـبـاهي	وليام مهما تطول تفنـى راهي
لا تدوم للمـهموم لا زاهي	يا سعد من فيها عبد معـبوده
يا سعد منهو على الكباير ناهي	يوم الآخره يسعد ينال سعـوده
نوصيك توبـي وصلي	وفي ثنية ربك أثبتـي ما تولي
وفي عبادته يا بنتي لا تتخلي	هو النور من يضوي الليالي السوده
بيّه توصلي مجد العـلا تتعلي	وبيّه تمنعي من هودة المـهمودة
بيّه تـمنعي من ناره	وبيّه تمنعي من صـهدا ومراره<< ²

¹ حمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 180.

² نسخة مكتوبة بخط الشاعر مهدي غمام.

>> أصبر عام للمرأ، وشهر للسفر، ونهار للحرب وضيق الحال وأصبر ديمة للدهر<<¹ أي الصبر سنة للمرأة، وشهر لتعب الصفر، ويوم للحرب ولضيق الأحوال ودائمًا للدهر والزمن.

أي المرأة بعد زواجها يجب على أهل الزوج الصبر عليها ولما يصدر منها لأن الأمور جديدة عليها والبت التي نشأت وترت فيه، والذي قامت على أسسه، لذا فهي لا زالت لم تعرف جيداً أحوال معيشتهم وقواعدها مع الأيام ستتعرف على نمط المعيشة وتسير على دربهم وتكون مثلهم وربما أحسن، فما صدر عنها من أخطاء أو زلات يجب الغفلة والتستر عليها وعدم محاسبتها ومعاقبتها على ذلك، والوقوف معها لإدراك كل ما لا تعرفه، فالصبر الأكيد سيأتي الفرج.

>> المتحولة مذبالة لو كان عروقتها في الماء<<² أي الفسيلة التي اجتثت من مكانها الأصلي إلى مكان آخر، فسوف تذبل ولو وضعت جذورها في الماء، ويعمم ويضر للعروس المتحولة من بيت أهلها إلى بيت زوجها.

وفي الأخير نستنتج أن البنت مصيرها بيت الزوجية فإن بتربيتها وأخلاقها السامية ستكسب بيت أهل الزوج، والزوج بذاته فالوالدين دائماً يحسنان تربية البنت وبعد زواجها يبقون يحنونها على الصبر وتحمل الصعاب فبنت الأصل والحسب والنسب دائماً تحمد من طرف الزوج وأهل الزوج، فالعروس في سنة زواجها الأولى تتعلم ما يسير حياة الزوجية المنزلية والأسرية وأسسها ونظامها لأنها ستكون فرد من العائلة فيجب عليها أن تتحلى بالخلق الكريم والصبر والكلام الطيب.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 33.

² نفس المرجع. ص 155.

المطلب الرابع: صورة المرأة الكنة

بعد زواج الابن بفترة الزواج تبدأ مشاعر النقص والغيرة عند الحماة، وتتطور هذه المشاعر إن وجدت من يغذيها، ويبدأ الصراع بينهما، وكلتا هما يصارعان على حق لهما وتختلف شدة الخلافات من بيت لآخر، فهناك بعض الحموات مثلاً يريدون أن تكون الكنة خادمة لهن، والكنة ترفض هذا فيبدأن بدرس الدسائس على كنتها، وبعضهن ينتهي بهن المطاف بالتسبب بطلاق الكنة وبعضهن لا يكتفين بذلك فقد تصل بهن الأمور بضرب الكنة المسكينة وخصوصاً وأن كانت بعيدة عن أهلها، وزوجها المسكين لا يجب أن يصل إلى غضب أمه عليه فغضب الوالدين معصية كبيرة عند الله تعالى وفي منازل أخرى. تكون الكنة هي اللئيمة التي تبعث الفتن بين زوجها وأهله وأمه وأخواته، ويكون مسعاها أن تستحوذ عليه وتبعده عن أهله من باب أنها لا تريد المشاكل معهم.

>> إذا تفاهمت العزوز والكنة إبليس يدخل للجنة<<¹ المقصود بالعزوز أم الزوج، والمقصود بالكنة الزوجة فهذا المثل يقال عند المجتمع السوفي للبرهان على استحالة حدوث التوافق بين الأم وزوجة ابنها، ويصوّر المرأة السوفية قليلة التفاهم مع زوجة ابنها، كما أن التفاهم يصدر أساساً من زوجة الابن كما تقول الحاجة جبارية "كان هالكة تحب العمة حتى الكلب يخش الجنة"² تقول الحاجة طویل هنية "مكتوب على باب الجنة كره العمة للكنة"³.

>> تكبري يا الكنة وتولي عزوز<<⁴ أي زوجة الابن ستكبر وتصبح عجوزاً ومثلما عاملت وتصرفت مع أم زوجها الأكيد أن الله سيجازيها كذلك في زوجة ابنها فتقول الحاجة جبارية:

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال الشعبية، ص 28.

² الحاجة جبارية لقاء يوم 10 أوت 2015 على الساعة 09:30 صباحاً.

³ الحاجة طویل هنية لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحاً.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص 48.

" إلهي خدّم خدمة ياكل منفوعها"¹ أي ستجازي بنفس ما عملت بالضبط وفي هذا إيمان قوي بوجود الله عز وجل.

نستنتج أن أم الزوج يجب أن تكون أما لزوج ابنتها كي تكسب ودها وحبها في بداية العلاقة، وتشعرها بأنها ليست غريبة فهذه الابنة تركت منزلها وانتقلت إلى حياة جديدة وأجواء جديدة وتشكرها على الصغيرة والكبيرة ونصحها بكل ما يفيدها في حياتها الزوجية، ويجب أن تتعود الأم على أن زواج ابنتها أمر واقع، وأن الفتاة يجب أن تشعر بكيانها وتمتع بحياتها الجديدة والكنة أي زوجة الابن عليها مراعاة أم الزوج ولتعلم جيدا أنها أخذت ولدها بعد عمر طويل تربى فيه مع والدته فهي السيدة الأولى والأخيرة في حياته وإن الأم تغار منها فعليها أن تتعامل بمرونة شديدة معها وتشارك الزوج في الإحساس بوالدته حتى تمتص غيرة الأم ومحاولة مساعدتها على تقبل الوضع الجديد.

المطلب الخامس: صورة المرأة السلفة

السلفة هي زوجة أخ الزوج، فكان البيت الكبير قديما في وادي سوف بيت العائلة هو الذي يتزوج فيه كل أبناء العائلة فتجمع الأسرة كلا بأبناء وزوجته، وخاصة أنهن يغرن من بعضهن فالغيرة تفسد العلاقة وكثرة المشاكل، ويقولوا ناس زمان " أنا بالمغرب لعمو وهو بالعود لعيني " أي بقدر ما تكون إحداهن لطيفة ومتفهمة وحنونة مع السلفة الثانية فهي تلدغها وتسبب لها مشاكل لن تنساها طول حياتها.

وممكن السبب الرئيسي لهذه المشاكل أنهن يسكنن مع أهل الزوج وهذا الذي فاقم المشكل، فعندما يوجد الاحترام على حساب الإنسان وتربيته والتفاهم أكيد لن يكون هناك مشاكل تبعد وتفسد علاقة الأسرة والإخوة ببعضهم البعض.

¹ الحاجة جبارية. اللقاء السابق. 78.

>> دم الضراير يتخلط ودم السلفات ما يتخلطش<<¹، يصور هذا المثل المرأة السوفية كضرة مع الضرة مهما وصل الخلاف بينهما فإن المصير المحتوم هو واحد والرباط بينهما الزوج، لكن السلفات جمع سلفة، لا يربط بينهما أي رابط غير العشرة المؤقتة قبل أن يفترق الإخوة ويذهب كل واحد إلى بيته حيث تقول الحاجة مسعودة زلاسي في هذا الصدد "مركب سلايف حارت ومكب الضراير سارت"² فالعائلات السوفية التي فيها زوجات الأبناء أي السلفات فيها المنازعات فمن الضجر والسخرية يقلن على بعضهن تقول الحاجة مسعودة زلاسي: "السلفة سلوفة كلبة حلوفة"³.

>> إذا تباقت النيران الإخوة جيران<<⁴ وهذا المثل أبناء المجتمع السوفي بعد زواجهم حيث أن الإخوة إذا تزوجوا يبقوا في بيت واحد وهو بيت أبيهم تباقت النيران أي اشتعلت وظهر وميضها من بعيد ونقصد بمعنى أن الإخوة إذا أصبح كل منهم يشعل النار ليحضر طعامه منفردا، فالأفضل أن يقسموا ما لديهم من ممتلكات ويصبحوا جيران أي منازلهم متجاورة وقريبة من بعضها تفاديا للمشاكل حيث تقول الحاجة جبارية حومدي: " البيت من وحده عامر، ومن أثنين دامر، ومن ثلاث خلا، ومن أربعة سل العمود وقربه <<⁵

نستنتج أن البيت الذي يتكون من السلفات أن بالعقل الراجح والتصرف الحكيم والود والتآزر بين زوجات الأبناء فالأكيد سيولد التفاهم فيما بينهن لتفادي المشاكل كل واحدة منهن تنقص من حقها وتقوم بواجباتها المنزلية على أكمل وأحسن وجه وعدم مضايقة السلفة بأي شيء يزعجها وتجنب هذه الغيرة التي لا معنى لها لان كل واحدة لديها زوج تعتني وتقوم بأشغاله فلا داعي للغيرة فهي التي تخدم العلاقات الأسرية، فبالمشاكل بين زوجات الأبناء سيولد المشاكل بين الإخوة

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، ص 68.

² الحاجة مسعودة زلاسي، لقاء 13 أوت 2015 على الساعة 10:00 صباحا.

³ نفس اللقاء.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع، ص 28.

⁵ الحاجة جبارية حومدي، لقاء 10 أوت 09:30 صباحا.

وتوليد الكره بين بعضهم فلذلك تجنب المشاكل النسوية وزرع روح المحبة والمودة بين الإخوة ولم شمل الأسرة بالتعاون والتآزر فيما بينهم.

المطلب السادس: زوجة الأب (الضرة)

يمكن أن تكون زوجة الأب نعمة في البيت ويمكن أن تكون نقمة أيضا، لكن بالرغم من كل القصص المخفية عن زوجة الأب، يمكن أن تكون زوجة الأب الضحية خاصة إذا كان الأطفال غير إيجابيين فالزوجة الأولى صعب التأقلم بأن زوجها تشاركها فيه امرأة أخرى وعدم الاقتناع بذلك، فمن هنا تبدأ مسيرة المشاكل، وكره الأبناء لزوجة الأب ينتج عن تبديل الأب لأهمهم بزوجة ثانية سواء كانت الأم حية، أم ميتة فعند الزواج بشخص مع أطفال هنا يتحدث الجميع عن الاندماج، وبالرغم من أنها قد تكون في الطريق الصحيح إلى تأسيس علاقات سعيدة وإيجابية وجيدة مع الأطفال إلا أن خطواتها ستكون مبعدة ببضعة حقول الغم، وتفادي هذه الألغام هو البداية السعيدة والسعادة لذا يجب أن تقتنع هي منذ البداية بأنها ليست مثالية أو كاملة العلاقة بالزوج أيضا لن تكون مثالية أي علاقة زواج أخرى، لذا فالتأقلم مع العائلة الجديدة ومحاولة الإبحار بسلام معهم.

>> أبركها يا مراة أبايا تضربني وتقولي ابكي <<¹ يقال أن أحدهم كانت تضربه زوجة والده وتتركه يبكي، وتوفيت الضرة الأولى أي زوجة الأب الأولى، تزوج الوالد بثانية، تضربه وتمنعه من البكاء، وبذلك حن إلى زوجة والده الأولى وقال هذا المثل.

فهو يصور نظرة المجتمع السوفي إلى زوجة الأب التي غالبا ما تحدث بينها وبين ربائبها مناقشات تصل بها إلى حد ضربهم أو حرمانهم من الأكل فيقول هذا المثل على لسان صاحبه أن زوجة أباه الأولى كانت تتركه يبكي والثانية تمنعه حتى حرية البكاء.

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، ص 25.

>> أتموت الضرة وتبقى عروقها>>¹ الضرة: اسم تطلقه زوجات الرجل الواحد على بعضهن، فالمثل يصور لنا أن الرجل السوفي عندما يتزوج مرة أخرى ولا يطلق زوجته الأولى فإنه يجمع بينهما في منزل واحد، فتبدأ المناوشات، فيقول هذا المثل للزوجة التي توفيت ضربتها بأن لا تفرح لأن لا شيء ما زال يضايقها بل أنّ هذه الضرة قد خلّفت أبناء وبنات يأخذون مكانها.

تقول الحاجة مسعودة زلاسي: "مرأة البو، ما كيفها عدو"² وكذلك "مرأة الأب سخطة من الرب لا تحب ولا تنحب"³.

>> زوالي بصرايره ولا مرسوم بضرايره>>⁴ زوالي يعني فقير لا يملك من الأثاث إلا الصرر، أحسن من مرسوم أي غني له ضراير أي زوجات، فالمرأة السوفية البسيطة تفضل الرجل الميسور الحال وتعيش في هناء وسعادة وتبني حياة زوجية هادئة وتستغني عن الحياة الفاخرة والغنى والمال وعيشة تعيسة، فتفضل الرجل الفقير لا يتزوج معها الثانية، على غني يعدد معها الزوجات.

>> ضرة وعيشة مرة>>⁵ دائما العائلات التي تجتمع فيها وتتعدد فيها الزوجات تكون مليئة بالمنازعات والمناوشات وتحللها العديد من النزاعات ويعدم فيها الهدوء والاستقرار فالنسوة كثيرات المشاكل على أتفه الأسباب فتقول الزوجة هذا المثل بأن لديّ ضرة والعيشة التي أعيشها مرة وفي هذا المعنى تقول الحاجة طويل هنية: "الضرة ضرة لو كان وذن جرة"⁶ "وما تفرحي يا ضرتي

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة الأمثال والحكم الشعبية، ص 25.

² الحاجة مسعودة زلاسي، لقاء يوم 13 أوت 2015 على الساعة 10:00 صباحا.

³ نفس السيدة ونفس اللقاء.

⁴ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق. ص 76.

⁵ نفس المرجع، ص 90.

⁶ الحاجة طويل هنية، لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحا.

عقب تلك عروقي صرّتي¹ لوجود الأبناء الذين يقلقون حياتها ويدوم الخلاف والصراع بين الضرائر إلى أن ينتقل الزوج إلى رحمة الله.

وفي الأخير نستنتج أن زوجة الأب تكون غير محبوبة ولتفادي ذلك ولنجاح بالظفر والسعادة معهم يجلب عليها أن لا تتحدث بسوء عن الأم البيولوجية، فمهما تسمع تحتفظ برأيها لنفسها، ومحاولة تجنب مواجهاتها إذا كانت موجودة وتجنب الحديث عنها إذا كانت ميتة أو بعيدة، فالأطفال لهم الحق الكامل أن يحبوا والدتهم بغض النظر عن علاقتها بوالدتهم.

وكذلك عدم التدخل بين الزوج والزوجة السابقة فانتقاد الأم البيولوجية سيجعل الطفل يشعر بأنك السبب في انفصال والديه، وعندها لن يصلح بينها وبين الأطفال شيء في الوجود، ويجب أن لا تكون صارمة، فترية الأطفال من امرأة غير الأم أمر صعب جدا، يجب عليها أن تقاوم بشدة لعب دور الأم السابقة وأن لا تكون الأم البديلة، مهما كانت الأم البيولوجية سيئة يجب أن لا تأخذ هي مكانتها، لأن ذلك يمكن أن يكون كره شديد من ناحية الأبناء، فهم يستحقون الدعم وتحاول تقديم ذلك، وتهتم بهم وتنظم حياتهم ولكن لا تفكر بأنها ستصبح أمهم إلا إذا شعروا بأنها تستحق هذا الدور، لذا يجب عليها أن تصبر للأيام السيئة، وتنتظر تطور الثقة والمحبة بمرور الوقت، وان لا تتوقع أن يكون الأطفال متجاوبين معها منذ البداية، يجب أن تكون حكيمة في تصرفاتها وأن تختار البدايات الجيدة.

¹ الحاجة طويل هنية، لقاء يوم 07 أوت 2015 على الساعة 09:00 صباحا.

المطلب السابع: صورة المرأة المطلقة (الهجالة)

ينظر المجتمع السوفي للمرأة المطلقة نظرة دونية لأنها تعد امرأة فاشلة لأنها في حياتها الزوجية فالطلاق يعد أبغض الحلال إلى الله، فالمجتمع لا ينظر بأن الطلاق سببه مشكل كبير أو عدم توافق وتفاهم الزوجين، أو أن الطلاق نجم أمر أكبر من طاقة الزوجين، فالمجتمع يحمل مسؤولية الطلاق للمرأة لأنها الشخص الأضعف، فلن تتخلص المرأة من هذه النظرة الدونية من المجتمع إلا إذا تزوجت من جديد، يقول تعالى: >> وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً<<¹

ومن الأمثال الشعبية السوفية التي صورت المرأة السوفية المطلقة نجد ما يلي:

>> أنعل إल्ली يتزوج الهجالة وأولادها رجالة <<² ينظر المجتمع عامة والسوفي خاصة ينظر إلى المرأة المطلقة نظرة سلبية على العموم، فالمرأة مهمشة لكونها امرأة لكنها تتعرض لتهميش مضاعف في حالة طلاقها، حيث ينظر لفشل تجربة الزواج بالنسبة إلى المرأة تحتزلها فقط في مجرد جسد، فإن هذا الأخير يفقد حيويته ونظارته بفعل الزواج بل وتنتهي صلاحيته بمجرد الطلاق.

وغالباً ما تتحمل المرأة وحدها تبعات الطلاق إذ غالباً ما تتهم بكونها السبب في انفصالها عن الرجل، وفي كل الأحوال يظل الطلاق وصمة عار في جبين المرأة وفشل يطاردها باستمرار فبهذا فإن نظرة المجتمع تحط من قيمته المرأة المطلقة والتي لها أولاد يعني بالعامية (ريب) أي ابن أو أبناء المرأة المطلقة بالنسبة إلى الزوج الجديد.

¹ سورة النساء، الآية 19.

² محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. ص 37.

ويقولون: "الريبب علة"¹ أي أن الابن سواء من الزوجة أو الزوج يكون دائما موضع كراهية من قبل زوج الأم إلى درجة أنه بمثابة مصيبة عنده وقد يكون لهذا المثل معنى أوسع أنه ينطبق على الكراهية والحق،

وهذا ما يجسده هذا المثل:

حيط الرمل لا تعليه يعلي يرجع لساسو

ابن الغير لا تريه يكبر ويرجع لناسو²

فربما لن تتخلص المرأة من ثقل هذه النظرة إلا إذا تزوجت من جديد وهو ما يؤكد إن كرامة المرأة واحترام الواقع لها مشروطان بارتباطها الشرعي برجل يحميها ويحافظ عليها³، بل الأكثر من ذلك على المرأة أن تحرص على حياتها مهما كانت الظروف حتى ولو كانت خاصة بكرامتها، حيث إن منطق الأشياء بحسب المنظور الشعبي يؤكد على أن المكان الطبيعي للمرأة هو العيش تحت حماية الرجل.

وفي هذا النطاق يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

>> ابن آدم نوصيك لا تاخذ الهجالة

تعريك وتقريك وتخليك في دربالة <<⁴

¹ قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية. ص 158.

² توفيق وامان، عبد الرحمان المجذوب من الرباعية المنسوبة إلى الشاعر المغربي. ص 81.

³ علي أفرار، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلمي، ص 65.

⁴ توفيق وامان، من الرباعية المنسوبة إلى الشاعر الشيخ عبد الرحمان المجذوب، ص 86.

تقول الحاجة جباررية:

<> نوصيك كان وصايقي تقبلها المهجالة رد بالك تعود راجلها>>¹

<> قعداني هجالة ولا سبيه>>² أي تفضيل المرأة المطلقة جلوس في بيتها أو بيت أهلها ولا زواج الرجل السفیه، ومعاناتها في حياتها مع الرجل التي تزوجت به، وفي هذا كذلك يصادفنا هذا المثل: <> هجلة نظيفة ولا زواز امترب>>³ أي البقاء دون زواج، يقال بالسوفية الشعبية زواز بدل زواج، لكن عند العامة من السهل نطق أحرف الصغير إذا تناولت فيقال زواز يعني زواج وهكذا، وامترب يعني أغبر، أي لا يوجد فيه ما يسعد، يقال أيضا:

<> قعاد بيت أبوها ولا زواج الفضايح>>⁴ التحذير من مصاهرة سيء الصمعة وكل نذل ورذيل من الرجال.

وفي الأخير نستنتج بأن المرأة هي مخلوف ضعيف لنحملها مشاكل ومتاعب غيرها، وما تتحمله من تبعات المجتمع الذي لا يرحم أحد، فالمرأة المطلقة تتحمل هي مسؤولية الأولاد على عاتقها لوحدها دون وجود الأب فهي تربي وتكبر وترعى شؤونهم من دراسة وتعليم وكل ما يلزم حياتهم اليومية فهي تلعب دور الأم ودور الأب مع، فالأم أو المرأة المطلقة تكون أكثر حرصا على أبنائها لأن كل ما يصدر عنهم يكون نتيجة تربية الأم غير أن المرأة المتزوجة فهي تتقاسم مسؤوليتها مع الأب، فيجب على المحيط الاجتماعي فهم واستيعاب ذلك وعدم النظرة السلبية لها، بالعكس الوقوف معها وقت الحاجة ووقت اللزوم لتحدي مصاعب ومحن الحياة.

¹ الحاجة جباررية حومدي، لقاء يوم 10 أوت 2015. على الساعة 09:30 صباحا.

² محمد الصالح بن علي، موسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية. 114.

³ نفس المرجع، ص 178.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 151.

المطلب الثامن: صورة المرأة العجوز

العجوز في بيت العائلة الكبير في الأسرة السوفية هي مصدر الحب والإحساس باللمة العائلية، فكبير العائلة يكون هو الذي يكرس في العائلة التواصل والتآزر فيما بينهم وهو المرشد والذي يعطي الرأي الصواب في استشارته في أحد الأمور، لأنهم أهل خبرة وتجارب.

فالعجوز أو الجدة في الأسرة السوفية يلتف حولها الأولاد ليلاً وهي تروي لهم حكايات الغول، الجن، السلطان... تروي لهم تتفكر من حكايات طريقة وتمتحن حدة ذكاء الأبناء بإعطائهم ألغاز لمعرفة الجواب الصحيح. ولنتعرف على صورة العجوز في الأمثال الشعبية السوفية.

<< العزوز اللي خرفت تتفكر أيام عرسها >>¹ العزوز: المقصود بها العجوز، وخرفت أي فقدت الذاكرة لكبر السن، ورغم ما يحمله هذا المثل من ظلم للعجائز، لكن الأكيد أن وراءه قصة لم نستطع الوصول إليها.

<< العزوز ماديها الوادي وهي تقول يا ولاّ عام طاهم >>² طاهم: خيره كثير، أي يضرب لمن يتجه نحو الهاوية، وهو يظن أن وجهته الخير والرخاء.

<< عزوز ولا هامها قرص >>³ أي العجوز الكبيرة في السن لا يهتمها شيء فهي كبرت ولم تعد تهتم بمشاغل الحياة مثل من فقد الإحساس لا يؤثر فيه شيء.

يقول الشاعر الشعبي علي عناد في هذا النطاق وعلى العجوز بالتحديد التي كبرت في السن:

للهامدة باركة في ركنة الحوش	وتاكل في الحبروش	وما تبدلش كراعها حتى للدوش
للهامدة باركة أكثر من علم	ومعهاها خدام	وتقابل دكتورها كل 3 أيام

¹ محمد الصالح بن علي، الموسوعة للأمثال والحكم الشعبية. ص 95.

² نفس المرجع، ص 95.

³ نفس المرجع، ص 98.

الفصل الثالث: الصورة المعنوية

ماذا بيها المأكلة فيها لــــيدام ولحم العلوش وديما كروطها الصبحة زبدة وبربوش

تشتي كان المأكلة فيها التحميص وتكرط بالبيض يا خويا بلعومها ما هوش مريض¹

يقول أيضا هذا الموال لعبد الله مناعي يقول فيه عن الكبر للعجوز:

ناري على روحي كبرت أتراني لا عاد خاطري يوجد ما هو واني منين كي

كنت ابـــــــزلولي كانوا أندادي ينشدو عن زولي

واليوم تكلمت عليّ الكبر كيف الغولي ايسالني دغينة في الخلا لاقاني

كانت في النــــورة وكانت أعظامــــي باللحم مستورة

واليوم حديثــــي عاد فيه عورة ما بقالني صديق بين الناس غير لساني²

فتبقى نظرة إيجابية لكل جداتنا والعجائز والشيخوخ لأنهم مصدر المعزة والحب والاحترام والتقدير، وهم أهل تجارب وخبر في مصاعب الحياة وعراقيلها، فالواجب طاعتهم والإحسان إليهم والوقوف معهم لكبر السن، فهم مصدر لم شمل العائلة والتقارب والتعاون والتآزر فيما بينها وهم منبع الخير والبركة.

¹ محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد. ص 219.

² عروس البوادي، مرجع سابق. ص 38.

خاتمة

إن الوعي الباعث على ضرورة المحافظة على الموروث الشعبي بمختلف أجناسه وموضوعاته باعتباره الوعاء الجماعي الذي يحتوي ذاكرة الأمة بمعتقداتها وقيمتها وعاداتها وأذواقها وتقاليدها، فغدت وسيلة تعليمية تنقل تراكما معرفيا لكل ما له صلة بحياة الإنسان فعبرت عنه بدقة وإحكام، فالأمثال الشعبية تعكس الصورة الصادقة للمرأة وقيمتها، والنماذج التي درستها واستخلصت معناها من الأمثال التي تخص المرأة فهي مستمدة من تصوير ذاتي وتصوير نسوي وبالإضافة إلى هذا المعطى وقفنا على جملة من النتائج نذكر منها:

__ الأمثال الشعبية تعد من أكثر الأشكال التعبيرية المنطوقة تناولا وتعبيرا عن تجارب الإنسان وهي من الأشكال التي تتعدد موضوعاتها وتتنوع تبعا لتداولها بين الأفراد، فتستحضرها العقلية الشعبية كلما توفرت دواع لذلك.

__ إن للمرأة في الأمثال الشعبية صورا عدة تنوعت بتنوع واقعها ودورها الاجتماعي، فحينما كانت زوجة رسمت لها الأمثال ملامح اختلفت عما إذا كانت نبتا، كما اختلفت عما كانت أما وغيرها.

__ الأمثال الشعبية السوفية جسدت صورة المرأة السوفية داخل النسيج الاجتماعي بشتى أصنافها وأعطت لها الصورة الحقيقية.

__ احتلت المرأة أدوارا ومراكز عديدة في بيتها وفي المجتمع ومع أبنائها منها السلبي ومنها الإيجابي.

__ أشادت الأمثال بالصورة المتميزة التي احتلتها المرأة من خلال علاقتها بالأبناء والزوج والمجتمع.

__ قدمت الأمثال صور المرأة المتعددة (الثقافية، الاجتماعية، التربوية) التي ساهمت في تشكيل جوانب الصورة العامة للمرأة في المجتمع السوفي.

__ فصورت المرأة في الأمثال بأنها ليست نصف المجتمع فحسب، بل هي والدته ومربية للمجتمع بأسره في مدرسته الأولى على الأقل التي تطبعه على حد بعيد في بقية مراحل حياته، ومن هنا تأتي أهمية ضرورة العناية بالمرأة بل وإعطائها الأولوية في ذلك على الرجل.

__ فالمرأة على هذا الأساس هي عماد المجتمع فإذا ما وقعت العناية بها وإيلاءها ما يوافق قيمتها وأهميتها من الاعتبار الصحيح والعناية الفائقة استقام المجتمع كله وصلح حاله، أما من أهملها وحط من قيمتها وإنسانيتها وتجاهل وجودها كعضو فاعل في المجتمع له قيمته المركزية، فقد هدم المجتمع أو على الأقل فقد أضرّ بالمجتمع ضرراً بليغاً.

__ تبقى المرأة جزءاً لا يتجزأ من المجتمع، هي أم المجتمع وصانعه رجاله، وصدق خير البشر صلى الله عليه وسلم عندما قال << النساء شقائق الرجال >>.

كلما تلخص الأمثال الشعبية السوفية دور المرأة فلا يشكك أحد في مكانتها في المجتمع إذا توفرت لها الظروف الملائمة بما تمتلكه من مواصفات وخبرة فهي هادئة صبورة بطبعها قوية الإرادة، إذا عملت أتقنت وأبعدت عملها وأحسنّت ونظمت فهي تدير المنزل بدون خوف، وتقوم بتربية الأطفال بثقة وأمان، وبإمكانها العمل في أي مجال يناسبها وهي أعلم وأدرى، وأكبر من أن تقاد من غيرها فهي راعية نفسها وأسرّتها ولها مكانة عظيمة.

قائمة المصادر والمراجع

__ القرآن الكريم.

__ الحديث الشريف.

__ الرواة:

1. جبارية حومدي: 66 سنة، أم 08 أبناء حي الأمل الرقيبة الوادي.
2. زينة شراحي: 72 سنة، أم 09 أبناء حي 05 جويلية الرقيبة الوادي.
3. عائشة مسعودي: 83 سنة، أم 06 أبناء حي 05 جويلية الرقيبة الوادي.
4. مسعودة زلاسي، 68 سنة، أم 07 أبناء حي الأمل الرقيبة الوادي.
5. هنية طويل: 76 سنة، أم 05 أبناء حي 05 جويلية، الرقيبة الوادي.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري من أمثاله العربية، الهيئة المصرية للكتاب، 1972.
2. إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، ط2، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
3. __ ابن الشيخ التلي، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، (د ط)، 1990.
4. ابن سالم عبد القادر، الأدب الشعبي بمنطقة بشار، منشورات الجاحظية سلسلة الدراسات الجزائرية، 1999.
5. أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجير بيروت، ج5، (د ت).
6. أبو الحسن الماوردي، الأمثال والحكم، تحقيق عبد المنعم أحمد، دار الحرمين، قطر، ط1، 1403هـ / 1983.

7. أبو العباس أحمد الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم الطلاي، قسنطينة دار البعث، ج1، 1974.
8. أبو الفتح علي، التحليل المقارن للأمثال الشعبية في اللغتين العربية والروسية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1995.
9. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج2، 1990.
10. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، دار الغرب الإسلامي، ج3، 1990.
11. أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، (د ط)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.
12. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار البصائر، الجزائر، 2007.
13. أحمد بن الطاهر منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف، (د ط)، دار الهدى للطباعة والنشر، 2000.
14. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، دار العلم للملايين، ط3، 1404 هـ / 1984.
15. الرازي، التفسير الكبير، دار التراث العربي، بيروت، ط1، ج20، 1420 هـ.
16. السيوطي، المزهري في علوم الأدب وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية، ج1، (د ت).
17. المنجد الأبيدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، مكتبة الترفيه، بيروت، لبنان، المشرق، ط8، (د ت).
18. الميداني أبي الفضل، مجمع الأمثال، منشورات مكتبة الحياة، لبنان، ج3، 1402 هـ / 1982 م.
19. بدر حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، 2002.

20. توفيق مدني، كتاب الجزائر، (د ط)، المطبعة العربية، 1350هـ.
21. توفيق وامان، من الرباعية المنسوبة إلى الشاعر المغربي عبد الرحمان المجذوب.
22. جمال الدين مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، (د ط)، 1412هـ / 1992م.
23. حسان الجيلاني من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب للطباعة والنشر، (د ت).
24. حسان الجيلاني، قصة العودة مذكرات عائدة من الرديف تونس إلى وادي سوف الجزائر في طائفة الاستقلال، ج1، دار هومة للطباعة والنشر، سنة 2011.
25. حسن ساعاتي، حكمة لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
26. رابح العوي، المثل واللغز العميان، ط1، 2005.
27. زيدان جورجى، تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة جديدة، (د ت).
28. سعاد إبراهيم صالح، أحكام عبادات المرأة في الشريعة الإسلامية دراسات فقهية مقارنة، دار الضياء، القاهرة، ط3، 1414هـ / 1993م.
29. سعيد هاشم، دور المرأة الرسالية في دولة النبوة، مؤسسة الفجر لندن، ط1، 14هـ 7هـ / 1996.
30. سلام رفعت، بحث عن التراث العربي نظرية نقدية منهجية دار الفرابي، لبنان، ط1، 1989.
31. سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت لبنان، ط2، 1420هـ / 1999.
32. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، 2009.
33. عبد الجليل يوسف حني، المرأة عند الشراء صدر الإسلام، ط1، دار الثقافة، 1418هـ / 1998.
34. عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية في قرية الحمراء ولاية برج بو عرييج، الجزائر، 1992.

35. عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن

عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د ط)، دار البيان، (د ت).

36. عبد الرحمان تميم الفراهيدي، كتاب العين، ج5، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي،

دار ومكتبة الهلال، بغداد، 1985.

37. عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

38. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وعلاقتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

الجزائر، 1981م.

39. عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في دراسة المعتقدات والأمثال الشعبية، ديوان

المطبوعات الجامعية الجزائر، 1987م.

40. عز الدين جلاوجي، الأمثال الشعبية الجزائرية، سطيف، (د ط)، (د ت).

41. علي افرار، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني، (د ط)، (د ت).

42. علي الماوردي، الامثال والحكم الشعبية، ترجمة فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، 1999.

43. عمار عوادي، الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف 1918 – 1957،

44. عمي بو شيبية، أمثال شعبية وألغاز، عين الذهب، تيارت، (د ط) (د ت).

45. قادة بوتارن الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، ط2، 1987م.

46. محمد الصالح بن علي وحمادي محمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات

من حياته، ط1، من إصدارات دار الثقافية لولاية الوادي، 2006.

47. محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، ط1، مطبعة سخري،

2012.

48. محمد الصالح بن علي، عبد الرزاق شوشاني شاعر الوطن والبادية، من إصدارات دار الثقافة

لولاية الوادي، ط1، مطبعة مزوار، 2010.

49. محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد، مطبعة مزوار، ط1، 2008.
50. محمد بن الحسن بن دريد الأزهري، جمهرة اللغة، ج2، تحقيق رامز منير البعلبكي، دار العلم للملايين، 1987.
51. محمد بن عمارة، العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية، وادي سوف أنموذجا، منشورات اقرأ، قسنطينة، 2010.
52. محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، ج1، مطبعة امزيان الجزائر، (د ط)، (د ت).
53. معيني زيادة، معالم عن طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويتي، يناير 1978.
54. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، (د ت).
55. Andre voisin, le souf Mongraphi d'une regoin Saharienne, paris, 1985.
56. Andre Voisin, Le souf monographie. Elwalid, El oued.

الرسائل:

1. خولة عمارة، كريمة عازب عبد الله، اللباس في المجتمع السوفي خلال الفترة 1854م/ 1962م، بحث مخطوط لدينا نسخة منه.
2. عثمان زقب، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة سوف 1918م/ 1947م وتأثيرها على تونس وليبيا، رسالة ماجستير في التاريخ جامعة الحاج الأخضر باتنة، 2006.
3. علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر (م) رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د، عمر بن خروف، 2001.
4. كمال بن عمر، الأغاز الشعبية في منطقة وادي سوف، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي الجزائري، إشراف الدكتور معمر حجيج، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007.

5. موسى، بن موسى الحركة الإصلاحية بوادي سوف ونشأتها وتطورها (1900- 1939)
مذكرة لنيل الماجستير، قسم التاريخ والآثار، إشراف د، أحمد صاري 2005 / 2006م.

المجلات:

1. إبراهيم محمد الزقراطي، سوف، المجلة الثقافية، عمان الأردن الجامعة الأردنية، ع 58،
2002 / 2003.
2. إبراهيم مياسي، من تاريخ سوف مدينة ألف قبة وقبة، مجلة الثقافية، الجزائر، ع 113،
1936.
3. إسماعيل ميساوي وأسماء ميساوي وآخرون، مفكرة نهاية القرن العشرين (دط) الوادي،
المطبعة العصرية، 1990 / 2000.
4. عروس البوادي الوادي، مجلة ثقافية تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى
والأغنية السوفية، العدد الأول 2008.
5. علي بوصبيح العايش، النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل واد سوف مدونة الندوة الفكرية
الثامنة الأمين العمودي، الوادي، دار الثقافة.
6. مجلة القباب الأدبي. صادرة عن دار الثقافة لولاية الوادي، العدد 7 مارس 2015.

المواقع:

1. _ C. L. Bataillon le souf Etude geographie humaine instite de recherche
Sahariennes.universite d' alger.1953.
2. _ عبد الله بوحوصي، مقال بعنوان مجذوبيات لسيدي عبد الرحمان المجذوب بتاريخ 20 أبريل
2009.
3. _ نعمان عبد الغني، مقال بعنوان مكانة المرأة الإسلام في المجتمع، 10-03-2006.

فهرس الموضوعات

الصفحة	المواضيع
	شكر وعرفان
أ - هـ	مقدمة
	الفصل التمهيدي: تعريف عام بمنطقة وادي سوف
08	المبحث الأول: أصل التسمية
12	المبحث الثاني: الجانب الجغرافي
12	المطلب الأول: الحدود الجغرافية
13	المطلب الثاني: مظاهر السطح
14	المطلب الثالث: الخصائص المناخية
14	المطلب الرابع: الغطاء النباتي
15	المبحث الثالث: الجانب الاقتصادي
15	المطلب الأول: الزراعة
17	المطلب الثاني: الصناعة
18	المطلب الثالث: التجارة وطرق المواصلات
20	المبحث الرابع: الجانب الاجتماعي
21	المطلب الأول: تركيبة السكان
22	المطلب الثاني: المستوى المعيشي
23	المطلب الثالث: اللباس في مجتمع وادي سوف
24	المطلب الرابع: المسكن في وادي سوف

26	المطلب الخامس: الأدب الشعبي في وادي سوف
31	المطلب السادس: العادات والتقاليد
35	المبحث الخامس: الجانب الثقافي والديني
	الفصل الأول: ماهية الأمثال
40	المبحث الأول: تعريف الأمثال
45	المبحث الثاني: صعوبة معرفة قائل المثل (نشأة المثل)
47	المبحث الثالث: وظائف المثل
49	المبحث الرابع: هدف المثل
52	المبحث الخامس: خصائص ومميزات المثل الشعبي
55	المبحث السادس: قيمة المرأة في الإسلام
	الفصل الثاني: الصورة الحسية
62	المبحث الأول: البيت والأسرة
63	المبحث الثاني: اللباس عند المرأة السوفية
77	المبحث الثالث: الحلي وأدوات الزينة عند المرأة السوفية
	الفصل الثالث: الصورة المعنوية
89	المبحث الأول: مكانة المرأة في مجتمع وادي سوف
101	المبحث الثاني: أصناف المرأة
101	المطلب الأول: المرأة الأم
109	المطلب الثاني: المرأة البنت
118	المطلب الثالث: المرأة العروس
122	المطلب الرابع: المرأة الكنة (زوجة الابن)

123	المطلب الخامس: المرأة السلفة (زوجة أخ الزوج)
125	المطلب السادس: المرأة الضرة (زوجة الأب)
128	المطلب السابع: المرأة المطلقة
131	المطلب الثامن: المرأة العجوز
134	خاتمة
137	قائمة المصادر والمراجع
144	فهرس الموضوعات